الفصل الاول

بحوث تاريخية

١ — تطور التاريخ المصري القديم

٢ — وحدة وادي النيل

٣ — أعم أعلام وحدة وادي النيل

« ا » الملك نب حبت رع

« ب » الملك أمنمحات الأول

« حـ » الملك احمس الأول

« ء » الملك رمسيس الثاني

٤ — الحروب بين ملوك الشمال والجنوب

٥ — الهيكسوس

٦ — الملك ايخ ـ إن ـ أتون

٧ — منصب الوزير

٨ — حاكم السودان العام

٩ — كتاب هيرودوت في مصر

obeikandl.com

تطور التاريخ المصري

القديم

اعتاد علماء التاريخ المصري القديم أن يقسموه الى عصور رئيسية أطلق على كل منها اسم معين . غير اننا لو تعمقنا في دراسة التاريخ وآثاره نرى أن معظم هذا التقسيم الشائع بتسميته غير مطابق للحقيقة والواقع .

فالعصر الأول : يقصد به الفترة التي يرجع تاريخها الى ما قبل الأسرة الأولى وأطلق عليه « عصر ما قبل التاريخ » على أساس أن التاريخ يبدأ عند وجود الكتابة ويعتمد على النقوش المدونة فقط .

على أن هناك بلاداً لم تعرف الكتابة قديماً ، وأخرى عرفت الكتابة ولم نستطع قراءتها ، وبالرغم من هذا فانها تاريخاً : فتكون الكتابة وتدوين الحوادث اذن ليست الوسائل الوحيدة للتاريخ . بل هناك وسائل أخرى أساسها علم الانسان وعلم الحيوان ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الآثار وقد أرشدتنا هذه العلوم مجتمعة الى معرفة تاريخ هذا العصر الطويل الذي يبدأ من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، كما أن هذا العصر أول قسم نبدأ به تاريخنا لذلك كله نطلق عليه اسم « فجر التاريخ » .

العصران الثاني والثالث : يطلق الأول منهما على عصر الأسرة الأولى والثانية ويسمى بالعصر العتيق . والآخر على عصر بناة الاهرام من الأسرة الثالثة الى السادسة ويسمى باسم الدولة القديمة ، فيقتطع أصحاب هذا الرأي الأسرتين الأولى والثانية بدعوى أن المرجع في تحديد ذلك الى بناء الاهرام .

لكننا نرى أن الدولة القديمة تبدأ من الأسرة الأولى وتستمر الى الأسرة الثامنة أي من حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م الى سنة ٢٢٤٥ ق . م . لأن بناء الاهرام يجب ألا يوضع في المكان الأول ويتخذ أساساً لتقسيم دول التاريخ المصرى القديم ، لأن التقسيم كان قائماً

على التوحيد السياسي للبلاد تحت رعاية ملك واحد ، بعد أن كانت عبارة عن ولايات مفككة (١) والذي كان من نتائجه أن أصبحت البلاد جميعها ملتفة حول العرش رمز البلاد . ولقد تمت وحدة مصر الأولى على يد الملك مينا (نعرمر) أول ملوك الأسرة الأولى حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م. ونطلق عليه اسم « عصر الوحدة الأولى » .

العصر الرابع : وهو العصر المتوسط الأول ويشمل الأسرات السابعة الى العاشرة في نظر المؤرخين ولكننا ذكرنا أن عصر الوحدة الأولى ينتهي بالأسرة الثامنة. وبذلك يمكننا أن نطلق على المدة من الأسرة التاسعة الى منتصف الحادية عشرة اسم « عصر تفكك الوحدة الأولى » وذلك لأن التوحيد السياسي قد تفككت أوصاله في هذه الفترة من ٢٢٤٥ ق. م. الى ٢٠٧٠ ق . م.

العصر الخامس : يطلق عليه المؤرخون عصر الدولة الوسطى ويشمل من أول الأسرة الحادية عشرة الى آخر الأسرة الثانية عشرة ، ونرى هنا ان الوحدة السياسية قد عادت الى البلاد على يد الملك « نب ـ حبت ـ رع » منتوحتب الثاني حوالي سنة ٢٠٧٠ ق . م . أي من منتصف الاسرة الحادية عشرة ، واستمرت حتى منتصف الأسرة الثالثة عشرة (حوالي سنة ١٧٥٧ ق .م) ونسميه « عصر الوحدة الثانية »

العصر السادس : ويطلق عليه العصر المتوسط الثاني ويشمل من الأسرة الثالثة عشرة الى آخر الأسرة السابعة عشرة . ونحن هنا نسميه عصر تفكك الوحدة الثانية من منتصف الأسرة الثالثة لعشرة الى الأسرة الخامسة عشرة أي من سنة ١٧٥٧ ق.م الى سنة ١٧٣٠ ق.م . وعصر حكم الغزاة الهيكسوس من حوالي سنة ١٧٣٠ ق. م الى سنة ١٥٨٠ ق.م . ويشمل من الاسرة الخامسة عشرة الى الاسرة السابعة عشرة .

العصر السابع : عصر الدولة الحديثة ويبدأ من الأسرة الثامنة عشرة الى أواخر الأسرة العشرين . ونحن نسميه « عصر الوحدة الثالثة » من حوالي سنة ١٥٨٠ ق . م الى حوالي

---

(١) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان التحديد الذي اتخذه المؤرخون ـ وهو بناء الاهرام ـ لا يؤيدهم فيما ذهبوا اليه من أن الدولة القديمة تنتهي بالاسرة السادسة فسنرى فيما بعد أن الملك امنمحات على سبيل المثال وغيره من بعده قد أقاموا اهرام مختلفة .

سنة ١٠٨٥ ق.م. (أي أنه بدأ على يد بطل حرب الاستقلال الملك أحمس الأول واستمر حتى عهد رمسيس التاسع .

وأهم ما لوحظ من مزايا عصور الوحدة القومية بجانب الازدهار في السياسة والحضارة ووحدة وادي النيل أن ملوك تلك العصور وجهوا نظرهم الى سياسة خارجية خاصة نستطيع أن نقول إنها أصبحت سياسة تقليدية لكل ملك قوي يعتلي عرش مصر الموحدة ، أخذها الخلف عن السلف لدرء الخطر عن أجزاء المملكة المصرية الموحدة تحت عرش ملك واحد

(العصر الثامن): ويبدأ من الأسرة الحادية والعشرين الى أواخر الأسرة الخامسة والعشرين أي من حوالي سنة ١٠٨٥ الى سنة ٦٦٣ قبل الميلاد ويطلق عليه عصر اضمحلال الامبراطورية ونحن هنا نسميه عصر تفكك الوحدة الثالثة .

وقد أطلقنا عليه هذه التسمية لأنه قبل وفاة آخر ملك من ملوك الرعامسة حوالي سنة ١٠٨٥ قبل الميلاد ضعفت سلطة الملك وقوي نفوذ كهنة آمون وخملت الروح الحربية بين المصريين . وقد أدت هذه العوامل التي ظهرت عند نهاية عصر الوحدة الثالثة إلى انقسام مصر إلى دولتين : احداهما جنوبية عاصمتها مدينة طيبة ويحكمها الملك حريحور ، وأخرى شمالية عاصمتها مدينة تانيس ويحكمها الملك نيسو بانب دد Nesubanebded [1] المعروف باسم ممنديس .

وقد اضطر الملوك في هذا العصر إلى استخدام الجنود المرتزقة من الليبيين وغيرهم مما دعا الى اسناد أكبر الوظائف الحربية الى الليبيين ، وقد ساعدهم هذا الى اعتلاء عرش مصر وتأسيس ما هو معروف في التاريخ بالأسرة الثانية والعشرين .

وكانت الممالك المجاورة لمصر آخذة في النهوض في تلك الآونة أي في عصر الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين فانتهزت فرصة التفكك والضعف في مصر وغارت عليها

---

(١) يظن كثير من العلماء أن Nesubanebded كان حاكما أو أميراً لمنطقة تانيس والواقع انه كان رئيس كهنة آمون وان حريحور كان رئيساً لكهنة آمون وقد ظن عنه Kees بأنه كان قائداً للجيش المصري ولكنا نرى ان حريحور جمع بين رئاسة الجيش ورئاسة كهنة آمون قبل توليه الحكم

من كل صوب ولم يقو ملوك مصر الضعفاء على حماية البلاد وضاعت أملاكها الاصيوية وفصلت النوبة عن مصر .

سعى ملوك النوبة [١] المتمصرين بمساعدة كهنة آمون على ضم مصر بقسميها ونجح الملك بعنخي في تأسيس أسرة نوبية في مصر وهي الأسرة الخامسة والعشرين غير أن سلطتهم كانت ضعيفة في الدلتا لأن عدداً من الأمراء المحليين الأقوياء كان ينازعهم السلطة.

وفي ذلك الوقت كانت دولة الأشوريين قد اتسعت في آسيا حتى بلغت حدودها فلسطين مما سهّل لهم التغلب على الدلتا حوالي سنة ٦٧٠ قبل الميلاد . ولكن الملوك النوبيين ظلوا في حرب معهم نحو عشر سنوات وأخيراً استطاع ملك الأشوريين المدعو آشور بانيبال طرد النوبيين فصارت مصر تحت حكمه مدة عشر سنوات وبقيت بها حامية منهم وعين حكاماً مصريين على الأقاليم المختلفة .

(العصر التاسع) : ويطلق عليه العصر الصاوي أو عصر النهضة المصرية وعصر الأسرة السادسة والعشرين . أما نحن فنسميه هنا بعصر وحدة مصر الرابعة وذلك لأن إبسماتيك كان في أول الأمر أميراً على سايس (صا الحجر) من قبل الأشوريين إلا أنه عمل على التخلص من حكم الأشوريين فاستمال باقي الأمراء إليه وجلب الكثير من الجنود المرتزقة من الأغريق وقبل المساعدة التي قدمها له ملك ليديا الذي كان يريد هو أيضاً التخلص من سيادة الأشوريين فتمكن إبسماتيك حوالي سنة ٦٦٣ قبل الميلاد من طرد الحامية الأشورية ثم إخضاع الأمراء الآخرين مستعيناً ببعضهم على البعض الآخر حتى استقل بمصر وأعاد الى مصر وحدتها الرابعة واعتلى عرش مصر باسم الملك إبسماتيك الأول وخلفه إبنه نخاو ونهج نهجه وعاد الى مصر مجدها ثم تولى الحكم بعدهما الملك أحمس الثاني .

وفي عهد إبسماتيك الثالث آخر ملوك هذه الوحدة أي حوالي سنة ٥٢٥ قبل الميلاد تغلب قمبيز ملك الفرس على مصر .

(العصر العاشر) : ويطلق عليه عصر استيلاء الفرس على مصر أو عصر الأسرة السابعة

---

(١) تمصرت النوبة تماما قبل انفصالها وعبد أهلها الآلهة المصرية لا سيما الاله آمون مما زاد فيها من نفوذ كهنته وكانت عاصمة ملوك النوبة المتمصرين بلدة باتا

والعشرين ، ونحن نسميه بعصر تفكك الوحدة الرابعة أي من حوالي سنة ٥٢٥ الى سنة ٤٠٥ ق.م .

ولقد حكم مصر في هـذا العصر بعد قمبيز الملك دارا الأول وأراد أن يصلح ما أفسده سلفه من هدم المعابد المصرية الى قتل المعبود المصري العجل إبيس فأبدى احتراماً كبيراً للمعبودات المصرية وشيد معبداً لآمون بواحة سيوه وبالرغم من تحبب الفرس الى المصريين تمكن المصريون من طرد الفرس وأسس الفراعنة[1] الأسرة الثامنة والعشرين سنة ٤٠٥ ق.م.

(العصر الحادي عشر) : عصر وحدة مصر الخامسة ويشمل حكم ملوك الأسرة الثامنة والعشرين ثم حكم مصر ملوك الاسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين ولـكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ باستقلالهم طويلاً إذ تمـكن الفرس من استعادة غزو مصر في عهد الملك نختنبو الثاني حوالي سنة ٣٤٢ قبل الميلاد وبقيت مصر تحت حكمهم الى سنة ٣٣٢ ق . ب أي الى أن انتزعها الاغريق على يد الاسكندر الأكبر .

(العصر الثاني عشر) : العصر اليوناني الروماني من سنة ٣٣٢ قبل الميلاد الى سنة ٦٤٠ ميلادية ونحن نطلق عليه اسم العصر القبطي المصري .

(العصر الثالث عشر) : من سنة ٦٤٠ ميلادية ونحن نطلق عليه العصر القبطي العربي .

---

(١) ورد اسم اول فرعون لهذه الاسرة في نص ديموتيقي « امون هور » بينما في نصوص المؤرخ مانيتون Amyrtaos

وحدة وادي النيل
في التاريخ القديم

كان وادي النيل منذ فجر التاريخ أي حوالى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد من البحر المتوسط شمالاً إلى حدود الحبشة جنوباً ، الذي يضم الوجهين البحري والقبلي ومعظم السودان الحالي — مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً — وكانت العلاقات بين شعوبه قائمة .

ولقد تطورت هذه العلاقات بطبيعة الحال تطوراً تدريجيًّا حتى وصلت ذروة الرابطة الوثقى .

فان اهتمام الفراعنة كان قويًّا للسعي إلى توحيد أجزاء وادي النيل ويرجع هذا إلى سببين أساسيين :

أولهما العلاقة الطبيعية والحيوية ، وثانيهما العلاقة القومية والسياسية.

وكان الدافع إلى هذا الاهتمام بوحدة وادي النيل جريان نهر واحد في وادٍ واحد، ووطن واحد . وبالتالي ضرورة تبادل المعرفة والمنفعة بين سكان هذا الوادي وسائر أنحاء أطرافه المتدانية والمتباعدة ليكون التعاون بينهم سهلاً ميسوراً حول عرش ملك واحد وحكومة واحدة .

فان المشروعات المائية والتبادل الاقتصادي لابد المحافظة عليهما أن يكونا تحت سلطة مركزية واحدة، لاسيما وأنه لا توجد حواجز أو حدود طبيعية بين أجزاء هذا الوادي .

وكان من نتائج الاهتمام بالوحدة ، أن التحم الملك مينا الذي يلقب بنعرمر حوالى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد مع خصمه حاكم الوجه البحري في مكان مصر القديمة الحالية وأراق ما أراق من دماء في ميدان الحرب لا للغزو والفتح بل لصالح مصر العام حتى وفق أخيراً لضم الوجهين البحري والقبلي .

منذ ذلك التاريخ ، تاريخ ، اتحاد الوجهين ، هجر الجزء المتحد من الوادي بقيمة الاتحاد والالتفاف حول عرش ملك واحد ، وتذوق الشعب ثمار هذا الاتحاد ونعيم هذا الالتفاف .

وهنا لأول مرة في التاريخ القديم ابتدأ تعاون الشعب والحكومة على وجوب ضم شمل شتات باقي أجزاء الوادي أي السودان تحت لواء ملك الوادي ملك مصر .

وكان من الطبيعي ان الوادي الذي يجري فيه نهر واحد ، والذي تقوم أجزاؤه على أسس واحدة ، يجب أن يكون ملتفًا حول عرش ملك واحد، وحكومة واحدة ونظام واحد، لضمان تبادل المنفعة العامة والمصالح المشتركة بين جميع الناس سواءً بسواء، ولإقامة الحق والعدل بين الجميع ، والدفاع عن أرض الوطن من اعتداء البلاد المجاورة .

وكانت حالة مصر للمتحدة قد بلغت من الحضارة شأواً فاقت به وقتئذ كل بلاد العالم . فهي أول بلد ساد فيه نظام الملكية في حكومة مركزية تهدف إلى ادارة المصلحة المشتركة بين سكان وادي النيل .

وكان لهذه الحضارة أثر ظاهر في مختلف نواحي العلوم والهندسة والفنون والآداب والسياسة والقانون مما جعل مصر الفرعونية مصدر الحضارات القديمة ومهد العلوم والمعارف في العالم القديم .

إذ أن الملك مينا هو أول من أنشأ وظيفة الوزير في العالم القديم وكانت مهمته القيام بالأعمال الادارية والتفرغ لما فيه استتباب الأمن وسن القوانين وشق الترع وإقامة الجسور وغيرها من المصالح التي تهم الشعب المصري السوداني .

ولهذا ارتضى أهل الشمال والجنوب على وحدة وادي النيل تحت تاج الملك مينا فجمع النيل السعيد بذلك شعوب الوادي قاصيها ودانيها حول عرش مصر، وساهم كل فرد بنصيب في ترقية بلاده واسعادها فيما خصص له .

وكان من نتيجة هذه الوحدة أن أخذ النظام القضائي شكلاً رسميًا فدوّنت القوانين ونظمت المحاكم بعد ان أخذت اللغة المصرية والكتابة بها شكلاً ثابتاً لم تحد عنه طول حكم الفراعنة .

ومن الطريف أن نظام التسجيل المعروف لدينا الآن كان متبعاً في ذلك الوقت وكانت الملكية لا تنتقل إلاّ بالتسجيل ، كما روعي في الوصية أن تكتب على يد اخصائي بحضور شهود — وكان يكتب الموصى أنه حائز على جميع قواه العقلية والجسدية ، وكذلك عرف في ذلك العصر نظام الضرائب على الأملاك : المنقول منها والثابت .

نهضت مصر حينذاك نهضة علمية تدعو إلى الاعجاب فقد عرف التخصص في المهن فكان هناك طبيب للعيون وطبيب للاسنان ومهندس ري وهكذا .

ويرجع الى عصر وحدة وادي النيل الأولى تقدم حساب الدورة الشمسية وتقسيم السنة الى اثني عشر شهراً ، وتقسيم النهار والليل الى ساعات ، وكذلك عرف هذا العصر بتقدم فنون المعمار والنحت .

وكان مصريو ذلك العصر أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية ، وأول من دقّ على الطبل لتنظيم السير في المناورات الحربيـة بخطوات عسكرية واحدة ، وأول من ابتدأ السير في الاستعراضات العسكرية بالساق اليسرى على خلاف ما تعتقد الأمم الحديثـة الآن بأنها هي التي ابتكرت هذا النظام .

وكأن النيل قد شعر بحاجيات سكانه فزادهم ربطاً أوفر ، وتكاتف سكان الوادي في تقوية الروابط بينهم وازدياد النفع المتبادل ، فوجهوا همهم للنيل فسكنوا واديه الخصيب وأخذوا يراقبون مواعيد فيضانه فزرعوا وحصدوا ورمموا الأعمال الهندسية فأقاموا الجسور وبنوا الخزانات وحفروا الترع ، فسهل لهم السفر في قوارب وسفن لتبادل المعرفة ومبادلة التجارة والمصالح . ولا سيما أن اختلاف أنواع المحاصيل المصرية والسودانية طبقاً لاختلاف الحرارة في البلدين ساعد على مبادلة التجارة وتقدمها .

وكفل النيل بذلك لهذا الوادي وسكانه كل أسباب قيام الحضارة واستقرارها فيه وفي قيام الصناعات التي ترتبت على وجود الزراعة كالنسيج وغيره .

هذه أمثلة قليلة لمزايا عصر وحدة وادي النيل الأولى يظهر فيها بعض ما وصل إليه المصريون في نواحي النشاط المختلفة من نتائج رائعة كانت ثمرة اتحادهم والتفافهم حول عرش ملك واحد وتمسكهم به في ولاء ووفاء .

والذي يقدر ما للنيل من مآثر غراء على مصر والسودان وسائر بلدان واديه من أهمية حيوية، لا تكبر عليه مغالاة قدماء المصريين في وصفه وعدّه مقدساً، ورفعه الى مرتبة الآلهة وإطلاقهم عليه الاسم المسجل تسجيلاً خالداً «حاعبي» إذ أنه صاحب الفضل الأول في حفظ حياتهم وهذا ما أوحى الى هيكاتيه الجغرافي اليوناني كلمته المشهورة «مصر هبة النيل» فنقلها عنه المؤرخ هيرودوت وقد صدقا في ذلك لأن كيان مصر الاقتصادي قائم على أساس الري والزراعة، فمن طميه الذي يجلب من الحبشة عاماً بعد عام تكونت تربة الوادي الخصيبة السوداء وقد كان المصريون القدماء يطلقون على مصر اسم كمت أي الأرض السوداء وبقيت في اللغة القبطية Xhmi أي مصر.

وينبع النيل من الجنوب ويتجه شمالاً على عكس نهر الفرات الذي ينبع من الشمال ويتجه جنوباً ولذلك سماه قدماء المصريين النهر المعكوس، بالنسبة لنيلهم. وهذا يدل على ما كان للنيل من أثر في تفكير قدماء المصريين.

واحتفلوا بعبادة النيل وأقاموا له الأعياد السنوية ولا يزال المصريون يحتفلون بفيضانه الى اليوم وفاءً لما أنعم عليهم من خصوبة ونماء.

وقد تراءت أخبار ما عم مصر والسودان من اصلاح في ذلك العصر الى الأقاليم المجاورة للوادي، فرحبت ليبيا بفكرة الانضمام تحت لواء ملك وادي النيل وتمّ لمصر ذلك بعد حرب لم يطل أمدها.

فعلمت مصر العالم القديم قواعد الحضارة وأصولها ونشرت نور مدنيتها على جاراتها مختلفة في ذلك شدة أو ضعفاً بحسب ما هيأت لها الظروف ذلك.

تزعمت مصر بذلك أقطار الشرق في تاريخها القديم واشتركت في تقديم التفكير البشري كما تتزعم هي الآن أمم الشرق في التاريخ الحديث.

وظلت مصر والسودان محتفظين بوحدتهما زمناً طويلاً وأخذت العلاقات تقوى وتزداد بين القطرين الشقيقين حتى حوالي سنة ٢٨٠٠ قبل الميلاد حين راجت سوق التجارة بين شمال الوادي وجنوبه عن طريق القوافل.

وكانت تلك القوافل تختلف تمام الاختلاف عما نتصوره الآن عند ذكر اسمها من صف

الجمال الذي يخترق الصحراء ، إلى صف من الحمير يحمل كل منهـا العاج والذهب الآبنوسي من السودان، كما كانت تستعمل أيضاً في نقل المحاصيل الزراعية من مصر الى السودان .

وكانت تستعمل السفن أيضاً لنقل البضائع وغيرها بين القطرين بالنيل .

إلاّ أن هذا الطريق المائي بين مصر والسودان كان ضيقاً وعراً — وقد حدت أهمية هذا الطريق الحيوي بالكثير من ملوك مصر الاقدمين للاهتمام بدراسته ، وكان أول ما ظهر من هذا الاهتمام أن رأى الملك مري ـ أن ـ رع حوالي سنة ٢٥٧٠ قبل الميلاد تكليف أحد كبار موظفيه المختصين المدعو « اونى » حفر خمس قنوات عند مناطق الشلالات لتسهيل سير السفن بين مصر والسودان .

والظاهر أن حفر هـذه القنوات كان جزءاً من سياسة عامة تنطوي على ترقية الملاحة وعلى كشف كل الجهات الجنوبيـة من الوادي كشفاً منظماً للتعرف عليها ولمعرفة السودان كامل المعرفة بأرضه وأهله وموارده ، وتحسين طرق التجارة والعمل على انمائها بين مصر والسودان ، فلكوا بذلك زمام البر والبحر ، وكان هذا النشاط تعهداً مستمراً للمصلحة العامة المشتركة بين القطرين الشقيقين، لأن مصر والسودان مرتبطان بروابط طبيعية وقومية كما ذكرنا.

ولقد كان توحيد شمال الوادي وجنوبه سبباً في تسهيل رحلات نهرية استكشافية كقيام أحد أمراء أسوان المدعو Hw - f - Hor بأربع رحلات إلى السودان في عهد الملك مري ـ أن ـ رع حوالي سنة ٢٥٧٠ قبل الميلاد .

* * *

ويعتبر Hw - f - Hor هـذا في نظر التاريخ الكاشف الاول لمجاهل الاصقاع الواقعة في وسط أفريقيا .

فكان للسودان أثره العظيم في تسهيل هـذا الكشف إذ أنه كان بقعة مصرية آمنة مطمئنة .

وظلت مصر محتفظة بوحدتها وبالتالي ظلت وحدة وادي النيل قائمة ، وقد أدى الاتحاد الى كثير من الخير ، فركزت جهود بني الوطن مجتمعين الى سعادته ورفاهيته ، وعم الرخاء الزراعي والاقتصادي بلاد وادي النيل زمناً طويلاً الى أن انقسمت مصر فترة وجيزة

بسبب المنازعات الداخلية حتى جاء الملك نب — حبت — رع الذي يلقب بمنتوحتب الثاني في الأسرة المصطلح عليها بأنها الأسرة الحادية عشرة فأعاد الى مصر الفرعونية وحدتها المرة الثانية حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد وكان هذا العصر استمراراً في تقدم الحضارة والمدنية والعلوم، واطراداً في تطور ما وصلوا اليه في عصر الوحدة الأولى .

واقتنع الشعب المصري مرة أخرى بأن رفاهيته وعظمته في الاتحاد وفي الالتفاف حول العرش .

ونجح الملك نب — حبت — رع في ضم أجزاء الوادي فوفق ملك مصر لضم السودان ثانية كما سجل ذلك وزير مالية هذا الملك المدعو خيتي على جرانيت أسوان وأصبحت هذه الفكرة الوطنية فكرة وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر برنامجاً وطنيًّا لكل ملك يعتلي عرش مصر .

واستمرت وحدة وادي النيل الثانية مدة من الزمن فأعيد ما بين طرفي الوادي من ود وصفاء ولكنه في العام التاسع والعشرين من حكم الملك امنمحات الأول أول ملوك الأسرة المصطلح عليها بالأسرة الثانية عشرة حوالي سنة ١٩٧١ قبل الميلاد بدأ اضطراب على الحدود الجنوبية فأرسل الملك أمنمحات ولي عهده الشاب وشريكه في الحكم المدعو سنوسرت الى السودان فنجح في تهدئة الحالة .

وعندما تولى سنوسرت بدوره حكم وادي النيل تولى قيادة إحدى الحملات التأديبية بنفسه الى السودان لتأمين حدود الوادي الجنوبية ضد المغيرين فنجح . وهكذا تجشم من الصعاب ما ذللها اعتقاده بأن سلامة الوطن لا تقوم الا بوحدة واديه .

ثم التفت الملك المصري الى أهمية السودان من الناحية الحيوية لمصر فرأى من خير الوسائل لتحقيق أمنيته تعيين «حبجا فى» حاكم أسيوط المصري الجنسية حاكماً عامًّا للسودان محققاً بذلك اهتمامه بأدارة شؤون السودان ومؤكداً بأن نفع السودان وخيره يرتكزان على الانضمام والاتصال لا البعد والانفصال .

وبلغ من إعزاز هذا الحاكم للسودان أنه بالرغم من وجود مقبرة له في أسيوط إلا أنه آثر أن يدفن في مقر عمله ببلدة « كرما » الواقعة بالقرب من الشلال الرابع مما يدل على أن

مصر والسودان كانت وطناً واحداً في نظره .

وبعدئذٍ أجرى هذا الملك سنوسرت تعديلاً في سائر الشؤون الكفيلة لنفع القطرين فعدل النظام الاداري في مصر بتعيين وزير ثانٍ الى جانب الوزير الأول يختص أحدهما بشؤون الوجه البحري ويختص الثاني بشؤون الوجه القبلي .

وفي عهد الملك سنوسرت الثالث حوالي سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد حفر قناة في النيل في مناطق الشلال الجرانيتية بعد أن تهدمت مع مرور الزمن القناة التي حفرها أوني الذي سبق ذكره في عهد الملك مري ـ أن ـ رع ، فضمن سنوسرت الثالث بتجديده القناة استقرار الصلة بين مصر والسودان ، وسميت هذه القناة بطريق سنوسرت الجميل — وقد ظلت هذه القناة مستعملة إلى عهد الملك تحتمس الثالث أحد ملوك عصر الوحدة الثالثة تقريباً .

وزيادة في تأمين حدود السودان أقام هذا الملك سنوسرت الثالث — حصنين متقابلين أحدهما في سمنه (جنوبي وادي حلفا أي بين الشلالين الثاني والثالث) والآخر في قمه لكي يضمن بذلك سلامة البلاد واستتباب الأمن ، ولا تزال آثارهما باقية لتتحدث عن الدقة في اختيار مراكز التحصين بما ينم عن روح هندسية بارعة .

ثم أقام عدة قلاع لصد غارات الثائرين ولإمكان مراقبة جميع الطرق الموصلة الى وادي النيل والذود عن كيان الوادي وحفظ سلامته .

وهذه القلاع كانت تكون سلسلة من أربع عشرة بلدة محصنة تمتد من هاتين القلعتين جنوب الشلال الثاني وتمتد شمالاً الى اسوان — وبديهي أن يكون لهذا النجاح العسكري مقابل من الرخاء المادي كما تشهد بذلك بعض النقوش المصرية .

ونحسن الاشارة هنا الى أن أقدم اتصال مائي بين البحر المتوسط والبحر الأحمر منذ عهد هذا الملك ، كان يجري لمسافة معينة متبعاً نفس الطريق التي تجري فيها قناة السويس الحالية ، وفي هذا ما فيه من مصلحة ومنفعة للسودان .

وقد اقتضى تبادل المنفعة بين مصر والسودان ان يضع الملك أمنحات الثالث حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد مقاييس للنيل في بلدة سمنة السابقة الذكر للتعرف بها على أحوال النيل

من حيث ارتفاع مياهه أو انخفاضها . وفي الحق ان مسألة النيل ومياهه من أهم مقومات وحدة وادي النيل التي لا غنى للسودانيين والمصريين عنها .

وجعل من هذه المقاييس فضلاً عن فائدتها للري معياراً لرخاء ذوي الأراضي الزراعية وأساساً للنظام المالي تجبى بمقتضاه الضرائب .

* * *

ولست أريد أن أطيل في ذكر أعمال كل ملك من ملوك عصر الوحدة الثانية خاصة وأني أوردت أمثلة عدة تبين مختلف وجوه النشاط المصري في السودان، فمن مشروعات مائية إلى عمرانية إلى حربية .

وغني عن البيان ان المصريين كانوا يبذلون كل ما في وسعهم من جهد لاسعاد السودانيين وتوفير كل خير لهم فسمحوا لاخوانهم السودانيين بالانضواء تحت راية جيش ملك مصر، ومنهم من كان ينتخب ضمن رجال الشرطة أيضاً . وقد استمر الحال على هذا المنوال طوال العهد الفرعوني . وما زالت الشواهد تظهر في كل عصر ودور لمن يمعن النظر حتى الآن . إذ نرى في وقتنا الحاضر بوليساً من السودانيين يسمى « بوليس الهجانة » ومركزهم الرئيسي بلدة عين شمس الأثرية ، فنرى أن التاريخ يعيد نفسه ويدل على أن السودان ومصر جزء لا يتجزأ .

واستمرت هذه العلاقات الطيبة في تاريخ البلدين تزداد وتقوى حتى نهاية عصر وحدة مصر الثانية أي حوالي سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد

وظلت مصر محتفظة بعظمتها طوال أيام مجدها حتى شعر رجال الجيش وحكام الأقاليم بقوتهم فأخذوا يبتعدون عن العرش ويحاول كل منهم الانفراد بالسلطة والجاه ، وبدأ التشاحن والتنازع بينهم وقد أدى ذلك الى ضعف مصر فداهمها العدو المعروف في التاريخ باسم الهيكسوس واستولى على جزء كبير منها كان ذلك حوالي عام ١٧٣٠ قبل الميلاد وظل الأجنبي يستعمر مصر حوالي قرن ونصف قرن إلى أن شعر المصريون بخطاهم وعرفوا أن التناحر على الحكم والانقسام وعدم الالتفاف حول العرش كان سبب نكبتهم وتفكك وحدتهم واحتلال بلدهم فقاموا قومة رجل واحد ملتفين حول الملك احمس الأول (بطل حرب

الاستقلال في دورها الأخير) فتمكنوا من طرد المستعمرين الأجانب حوالي سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد من أرض الوطن .

وعادت مصر للمرة الثالثة إلى مجدها القديم بفضل وحدتها والتفافها حول مليكها .

وبعد أن انقشعت غمة الاستعمار بطرد المحتلين وبعد وحدة مصر والتفاف شعبها حول ملك مصر نجد أن العلاقات بين مصر والسودان يتصل حبلها من جديد في صورة رائعة ، وكانت هذه الوحدة هي الشعلة الوقادة التي تضيء للوادي سبل الحياة والحضارة

ونجد أن منصب حاكم السودان العام يعاد ويضاف لشاغله لقب الابن الملكي للسودان وليست كلمة ابن هنا معناها أن يكون الحاكم حقًّا من أبناء البيت المالك ولكن هذا اللقب في الواقع معناه أن حاكم السودان مقرب من الملك وله شرف الاتصال بمليك الوادي وفي هذا اللقب اشارة جليلة وجلية الى اظهار عدم تفريق ملك الوادي بين مصر والسودان من جهة الحكم والادارة كما ان فيه أيضاً شعوراً سامياً لأهل السودان بأن ملك مصر قد أرسل لهم من هو في حكم ابنه ليدير دفة شؤون البلاد الشقيقة .

ومن طريف ما يحدثنا به التاريخ القديم في هذا الصدد أنه عندما تولى الملك تحتمس الأول عرش الوادي حوالي سنة ١٥٣٧ قبل الميلاد أرادت الحكومة المصرية ارسال نبأ تولية الملك الجديد على عرش الوادي فكتبت ما معناه :

« أمر ملكي إلى حاكم السودان العام المدعو توري لكي تعلم ان جلالة الملك تحتمس أصبح ملك الشمال والجنوب ولكي تنشر ألقابه ولكي تعلن بأن حلف اليمين أصبح باسم الملك تحتمس . . . »

وكان من اختصاص حاكم السودان العام تصريف الشؤون الادارية والاشراف على المسائل القضائية والمالية .

ويحدثنا التاريخ أن كل حاكم عام للسودان كان بادارته الحازمة يعمل على رخاء البلاد الشقيقة ونشر الأمن فيها .

وكان مركز حاكم السودان العام أحد المناصب الكبيرة في تاريخ مصر الفرعونية وله من المسئوليات ما لا يقل عن منصب الوزير نفسه . فكما كان للملك حق تعيين الوزير فإن له

الحق أيضاً في عزله ، وكما كان لملك مصر وحده حق تعيين حاكم السودان العام كان له وحده حق عزله .

وكان وجود منصب حاكم السودان العام على هذه الصورة وبهذا اللقب أقوى برهان على اعتبار السودان جزءاً من مصر وعلى اعتبار السودان أرضاً مصرية .

ولقد استمر الصفاء ناشراً أجنحته على وادي النيل مصره وسودانه وزادت الروابط الثقافية بين البلدين فأنشأ ملوك مصر بلاداً مصرية في السودان وأقاموا فيها المعابد المصرية لتوحيد اللغة والعبادة بين أطراف الوادي فعلى سبيل المثال أقام الملك تحتمس الثالث معبداً على نسق معبد الكرنك لعبادة الاله آمون في بلدة نباتا بالقرب من الشلال الرابع .

كذلك نعلم أن المصريين قد أسسوا مصانع ومتاجر في مختلف أنحاء السودان لكي يسعد أهل السودان من جراء تعليم الحرف والصناعات فيمكن للسودان بذلك أن يجاري مصر في نهضتها الصناعية وفي رقيها التجاري والاقتصادي .

وكانت مظاهر الوادي كله مصبوغة بصبغة واحدة هي الصبغة المصرية فنجد على سبيل المثال في مقبرة « حوى » حاكم السودان العام في عهد الملك توت عنخ آمون حوالي سنة ١٣٤٠ قبل الميلاد رسماً يمثل وفداً سودانياً حضر الى مصر ليقدم فروض الولاء والطاعة لملك مصر ويحمل الهدايا اليه ، ومما يستحق الذكر أن أعضاء هذه البعثة كانوا يرتدون الملابس المصرية ، أي أنهم كانوا مصريين في حياتهم الخاصة وحياتهم العامة وبذلك استوى الشعبان المصري والسوداني في النهضة والرقي .

وظلت مصر والسودان محتفظة بوحدتها زمناً طويلاً واستمرت العلاقات تقوى بين مصر والسودان فقد زار الملك حور محب السودان حوالي سنة ١٣٠٠ وعند رجوعه نراه ممثلاً على جدران معبد جبل السلسلة محمولاً في محفة على أكتاف صفوف من جنوده كل صف يتكون من ستة من الجنود يتقدمه فريق من فرق الجيش السوداني . وهذا يرينا إلى أي حد امتزج السودانيون بالمصريين واشتركوا في أعيادهم وحفلاتهم ويرينا أن فكرة استعمار المصريين للسودان غير صحيحة .

كما كان من أهم أعمال الملك رمسيس الأول الداخلية اصلاح الطريق الموصلة الى مناجم

الذهب بصحراء النوبة الشرقية وهذا يعود بالخير الوفير على مصر والسودان معاً .

ومن الطريف أن نذكر أننا نجد الكهنة في حفلة تتويج الملك رمسيس الثاني الذي حكم من حوالي سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤ قبل الميلاد يحملون تماثيل بعض الملوك الذين حكموا قبل عهد هذا الملك على الترتيب الآتي :— الملك مينا، ثم نب حبت رع، ثم أحمس.

وهكذا يسجل التاريخ ان أقدس ما يمثله الملوك والحكام إيمانهم بتخليد صحائف العزة القومية فتعرض في مواسم جلوسهم على عرش آبائهم وأجدادهم علائم النهضة ومواكب الأمجاد ومفاخر الأجيال ، إذ أن هذه الاسماء الثلاثة كانت ترمز في أفكار قدماء المصريين الى أهم أعلام وحدة وادي النيل .

وخلاصة القول إن الآثار والنصوص تملأ الوادي من الشمال الى الجنوب وتنوّه بوحدة الأغراض الداخلية والخارجية للقطرين الشقيقين وتؤيد حق مصر في السودان .

فالقطران الشقيقان يرتبطان بمرى النيل الوثيقة منذ فجر التاريخ حتى عصرنا الحالي لاغنى لأحدهما عن الآخر .

ويعيد الآن التاريخ نفسه في اجماع شعب الوادي — مصره وسودانه — على الالتفاف حول مليك الوادي فاروقنا المحبوب للسعي لتحقيق أهداف الوادي القومية والحيوية . حفظ الله الملك لمصر ذخراً ولشعب الوادي قدوة وفخراً .

أهم أعلام وحدة وادي النيل

١ — الملك نب حبت رع

مؤسس الدولة الوسطى (عصر الوحدة الثانية)

حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد

اختلفت الآراء في تعيين مؤسس الدولة الوسطى [١] ، فزعم البعض أن ذلك المؤسس هو أول ملوك الأسرة الحادية عشرة ، أي — في تقديرهم — الملك انتف (واح عنخ)[٢]. ورأى آخرون أن المؤسس الحقيقي للدولة الوسطى هو الملك أمنمحات الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة [٣]

والرأي عندنا أنه لا هذا ولا ذاك، وانما هو « نب ـ حبت ـ رع » ، وذلك لما نورده من اعتبارات فيما يلي :

أولاً : يقول أصحاب الرأي الأول أن الملك انتف (واح عنخ) هو مؤسس الدولة الوسطى ، لأنه أول ملوك الأسرة الحادية عشرة، وقد أثبتت الحفائر الأخيرة خطأ هذا الرأي ، لأن حفائر المعهد الفرنسي بالقاهرة في منطقة « طود » كشفت لنا عن ملك غير معروف من قبل يدعى انتف (سهرتاوي)[٤] ، وقد تولى الملك قبل انتف (واح عنخ) فليس لنا بعد ذلك أن نعتبر أنتف (واح عنخ) أول ملوك الأسرة الحادية عشرة ، ولهذا لا نأخذ بهذا الرأي . ثم إننا لا نرى أن نجعل مبدأ الأسرة بدءاً للدولة ، لأن الدولة إنما تبدأ حين تتم وحدة البلاد ، فتتجمع أقسامها تحت سلطان ملك واحد . والواقع أن انتف

---

(١) الدولة الوسطى هي القسم الثاني من الاقسام القومية الثلاثة الكبرى التي مر بها التاريخ المصري القديم في عهد الاسرات الفرعونية ، وكان فراعنة مصر في أثنائها يحكمون مصر الموحدة .

(٢) من أنصار هذا الرأي Breasted في كتابه History of Egypt صفحة ١٣١ ، ٤٢٣ .

(٣) من هذا الفريق Junker في كتابه Die Aegypter صفحة ٨٧ .

(٤) راجع Vandier, Un Nouvel Antiq. de la XI. Dyn. (Bulletin de l'Inst Fr.XXXVI)

(واح عنخ) لم يقم بهذا التوحيد ، وإنما رجعت الى مصر الوحدة القومية على يد الملك « نب ـ حبت ـ رع » ، بعد أن سادتها الفوضى قبيل أواخر الاسرة الثامنة ، وبعد أن انقسمت البلاد المصرية الى قسمين متعاصرين ، أحدهما تحت حكم ملوك البيت الإهناسي ، والآخر تحت حكم ملوك طيبة[1] . ويثبت ذلك أن الملك نب ـ حبت ـ رع قد سجل على حوائط معبده في « جبلين » مفاخرته بقهره المصريين والاجانب على السواء ، فنجده يصف نفسه على المناظر المنقوشة على إحدى القطع بأنه « قهر رؤساء القطرين ، ووطد الأمن في الشمال والجنوب وكذا في البلاد الأجنبية ، وفي البلدتين (أي العاصمتين) » . فهذا النص يدل على أنه وحّد الوجهين ، وأخضع البلاد المجاورة — هذا وإن المناظر المنقوشة تحت ذلك النص على نفس القطعة السابقة تمثل الملك وهو يضرب أربعة من أعدائه ، وهم يمثلون بالتتابع (١) المصريين (٢) النوبيين (٣) الآسيويين (٤) الليبيين : فالعدوّ الاول ولو انه لا توجد فوقه كتابة تدل عليه إلاّ أن شكله يدل على أنه مصري ، ومعنى ذلك أن الملك حارب المصريين وانتصر عليهم سواء في ذلك أهل مصر الوسطى والوجه البحري ، ولم يميز الملك بين عدوّه المصري وعدوّه الاجنبي فوضع المصريّ مع أعدائه الاجانب ، وبعبارة أخرى أن الملك لم يفرق بين انتصاره على الوجه البحري أو مصر الوسطى وانتصاراته على البلاد المجاورة لمصر .

ويظهر أن هذه الحرب التي شنها هذا الملك على مصر الوسطى أدت الى سقوط آخر ملوك الاسرة العاشرة في إهناسيا ، وبذلك تمكن هذا الملك من حكم مصر الموحدة .

أما العدو الآسيوي المهزوم فيرمز الى نصر الملك على الآسيويين القاطنين في شمال الدلتا الشرقية ، وهذا يؤيد ما نقوله من أن نب ـ حبت ـ رع وحّد مصر ، لأنه لا يستطيع هزيمة الآسيويين إلاّ بعد بعد أن يتم له الاستيلاء على مصر الوسطى والدلتا .

أما النصر على العدو الليبي فلا يتصور إلاّ إذا كانت سيادة الملك قد امتدت على حدود مصر الغربية .

---

(١) وطبيعي ان هذا التوحيد الذي تم في عهد نب ـ حبت ـ رع لم يتم في يوم وليلة ، بل مر بأدوار طويلة وحروب كثيرة بين ملوك اهناسيا أي ملوك الاسرتين التاسعة والعاشرة وبين أمراء طيبة الذين كونوا في التاريخ ما هو معروف بالاسرة الحادية عشرة .

ثانياً : والدليل الثاني على ما نرى أننا نجد اسم الملك « نب ـ حبت ـ رع » يظهر كثيراً على آثار متأخرة ، لانه كان معتبراً أهم ملك في الأسرة الطيبية الأولى . بل نجد برهاناً أدل على ذلك إذ قد ورد اسم هذا الملك في معبد الرامسيوم[1] بين اسم الملك مينا مؤسس الدولة القديمة واسم الملك أحمس الأول مؤسس الدولة الحديثة فنجد الكهنة في حفلة تتويج رمسيس الثاني يحملون تماثيل بعض الملوك الذين حكموا قبل عهد رمسيس الثاني على هذا الترتيب: الملك مينا ، ثم الملك نب ـ حبت ـ رع ، ثم الملك أحمس الأول ، ثم باقي ملوك الأسرة الثامنة عشرة ما عدا الملكة حتشبسوت ، ثم ملوك عصر العمارنة ، فالملك حورمحب ، فرمسيس الأول ، ثم سيتي الأول ، ورمسيس الثاني .

* * *

واننا نلاحظ أن اسم هذا الملك قد ذكر بين أسماء مينا وأحمس ، وهما ملكان يرمزان في عقلية المصريين القدماء إلى ابتداء عصرين عظيمين في التاريخ المصري القديم ، فمينا هو مؤسس الدولة القديمة وأحمس هو مؤسس الدولة الحديثة . وهذا الوضع يدل بداهة على أن « نب ـ حبت ـ رع » كان يعتبر أيضاً أنه ابتدأ عصراً جديداً ممتازاً في تاريخ مصر ، وهو المعروف « بعصر الدولة الوسطى » ، لأنه وحّد مصر كما وحّدها من قبله مينا ومن بعده أحمس[2] .

فمن هذا نستدل على عظمة « نب ـ حبت ـ رع » تلك العظمة التي نوّه بها من خلفه من الملوك لتوحيده مصر من جديد .

ثالثاً : من الواضح أن الملك نب حبت رع كان اسمه قبل أن يتم له توحيد مصر « نب ـ حبت ـ رع ، ذا التاج الأبيض المقدس منتوحتب » ، فلما وحد الوجهين استبدل باسمه الحوريسي اسماً مناسباً لموقفه الجديد وهو « سماتاوي » ، أي موحد الارضين ، (والمقصود

---

(1) R. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, III Tafel 103

(٢) ومما يلاحظ في هؤلاء الثلاثة أنهم من الجنوب ، وان كلا منهم استولى على الدلتا ، أي أن كلا منهم حكم وجهي القطر المصري على أساس غزوه الدلتا ثم مد سلطانه على الشمال .

بهما الوجهين القبلي والبحري) . فأصبح اسمه نب ـ حبت ـ رع السيماتاوي[١] . فهذا الاسم أيضاً يدل على أن الملك « نب ـ حبت ـ رع » قد حكم الوجهين القبلي والبحري وكذلك شمل نفس التغيير لقب نبتي ، أما الاسم الشخصي فقد بقي في الحالتين « منتوحتب » . وكذلك اسم العرش أو اسم التتويج، فقد بقي في الحالتين واحداً في النطق، ولا عبرة باختلاف الرسم[٢] . وقد كان الباحثون من قبل يعتقدون أن اسمي « نب ـ حبت ـ رع ذي التاج الابيض ، ونب ـ حبت ـ رع ـ السيماتاوي » أطلقا على ملكين مختلفين لا على ملك واحد، ويقولون إن معبد الدير البحري الذي يرجع تاريخه إلى الاسرة الحادية عشرة[٣] إنما بناه ملكان اسم أحدهما « نب

.....

(١) ولتأييد هذا أضيف أن ظاهرة تغيير أسماء الملوك موجودة في تاريخ مصر القديم قبل عصر هذا الملك ، ولنذكر خاسخم على سبيل المثل فقد غير اسمه الى خاسخموي . راجع :

G. Möller, Namenwechsel von Königen des alten Reichs و K. Sethe, Zum Namenswechsel des Königs Pipj I. (طبيعي بعده اخناتون وتوت عنخ آمون وحرمه)

(٢) نجد اختلافاً كبيراً بين العلماء حول قراءة خرطوش هذا الملك ففريق من العلماء وعلى رأسهم برستد Et. Drioton et I. Vandler, Les Peuples de ودريتون مثلا (Anc. Records, Hist. of Eg.) l'Orient Méditerranéen, 1938 p. 234) يلقبه بلقب « نب ـ خرو ـ رع » ، وفريق آخر من العلماء وعلى رأسهم نافيل في كتابه Naville, the XI Dyn. Temple at Dier - Bahari p. 3-5 و Sethe, ä Z., 62 (1927) . Hall, History of the Nur East يلقبه بحق بلقب « نب ـ حبت ـ رع » . أي أن الخلاف منحصر في قراءة العلامة المقذاف هل تقرأ « خرو » أو « حبت » ، ولكن كلا من الاستاذين Naville و Sethe قد أثبت بحق أن هذه العلامة « المقذاف » تقرأ في هذه « حبت » ، لا سيما وأن اسم هذا الملك قد ورد لنا في بردية Abbott مكتوباً منتهياً بحرف التاء ، فهذا يثبت لنا أن علامة « المقذاف » لا يمكن في هذه الحالة أن تنطق « خرو » . وعلى هذا الاساس يكون النطق الاصح لاسم هذا الملك هو « نب حبت ـ رع » . ومن الجائز أن اختلاف العلماء في قراءة هذه العلامة هو الذي أدى البعض الى أن يظن أن هناك ملكين بدلا من ملك واحد .

(٣) قوة هذا الملك وعظمته تتجلى بأوضح بيان في معبده الجنائزي في الدير البحري ، فانه بعد أن تمكن من القضاء على الحروب الاهلية ، وبعد أن عمل على راحة الشعب وعلى وجود السلام والتقدم بعد عصر الفوضى والاضطراب ، عمل في بناء معبده العظيم الذي كان يعتبر في عصره أكبر وأهم بناء في العاصمة طيبة . وهو يقع جنوبي معبد حتشبسوت ، وقد ابتدأت الحفائر للبحث عن هذا المعبد سنة ١٩٠٣ ، وقام بها الاستاذان Naville و Hall ، وكانت نتيجة حفرها أنهما أخرجا للعالم بناء عظيما لا يخضع لقواعد البناء التي كانت معروفة قبل ذلك ، وهذا المعبد قد أوحى فيما بعد الى المهندس Sen-n-mut بالفكرة التي بنى عليها معبد الدير البحري الخاص بالملكة حتشبسوت .

حبت ـ رع ـ ذي التاج الابيض» ، واسم الثاني « نب ـ حبت ـ رع (نب ـ خرو ـ رع) السيماتاوي» .

ولكن البحوث الفنية المعمارية كانت تناقض فرضهم وتضعف حجتهم، لان H. Bonnet[1] أثبت أن معبد منتوحتب نب ـ حبت ـ رع الموجود بالدير البحري من بناء ملك واحد لا ملكين

أما نحن فقد بينا أن الملك حمل الاسمين جميعاً ، ورفضنا قول الذين جعلوه ملكين حكما على التعاقب ، ونحن بهذا نقدم برهاناً جديداً على صحة رأي Bonnet . فلنا إذن أن نفترض أن الملك « نب ـ حبت ـ رع » بدأ في بناء هذا المعبد قبل توحيد البلاد المصرية ثم انتهى من بنائه بعد التوحيد[2] .

رابعاً : مما يؤيد قيام هذا الملك بتحقيق الوحدة المصرية تمثال له في المتحف المصري يمثله لابساً تاج الوجه البحري الأحمر .

خامساً : نجد رسماً لهذا الملك في جهة « شط الرجال »[3] (بالقرب من أسوان) ، يحمل على رأسه تاج الوجهين القبلي والبحري ، وذلك يؤيد النتيجة السابقة .

فمن كل هذه الأدلة يثبت لنا أن « نب ـ حبت ـ رع » أول من وحّد المملكة المصرية في عهد الأسرة الحادية عشرة . وعلى هذا الأساس يكون هو المؤسس الحقيقي للدولة الوسطى ، وليس أنتف الأول

وكذلك لا يمكن الأخذ بالرأي الثاني ، وهو رأي يونكر وغيره من العلماء ، من أن أمنمحات الاول هو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، لاننا أثبتنا الآن أن أول من قام بتوحيد المملكة في هذا العهد هو الملك « نب ـ حبت ـ رع » ، وهو سابق لامنمحات، ونحن نعلم تمام العلم أن توحيد المملكة استمر في عهد من خلفه من الملوك، فحادث استيلاء « نب ـ حبت ـ رع » على كل أرض مصر وتوحيدها من جديد حادث تاريخي هام جداً .

وعلى العموم فقد كان هذا الملك رجلاً عظيماً وحّد البلاد، فبدأ بذلك عصراً جديداً

---

(١) H. Bonnet : Zur Bangeschichte des Mentuhoteptempels (A, Z 60 40)

(٢) فلكل هذه الاسباب مجتمعة سأجعل من « نب ـ حبت ـ رع ذي التاج الابيض » و « نب ـ حبت ـ رع السيماتاوى » شخصية واحدة تحت اسم الملك « نب ـ حبت ـ رع » منتوحتب الثاني .

(٣) انظر Maspero : The Dawn of Civilisation p 463.

ممتازاً في تاريخ مصر . وقد أنشأ عاصمة جديدة هي طيبة ، فاشتركت هذه المدينة لأول مرة في الحياة السياسية ، وامتد نفوذ إلهها آمون في الحياة الدينية . وكان هذا الملك بنّاءً كبيراً وإداريًّا عظيماً ، وقد استطاع فوق ذلك أن يوجه عنايته للسياسة الخارجية بعد توحيده البلاد المصرية ، وسيطرته على النوبيين[1] في الجنوب فحارب قبائل العامو[2] في الشمال الشرقي والليبيين في الشمال الغربي[3]

ولعلّ تساند هذه العلل وتماسك تلك الحلقات — من نصوص وآثار ومقارنة — مما يرفع الشك ويزيل الخلاف .

---

(١) ونجد على النقوش الموجودة على الصخور بجهة أسوان أحد موظفي مالية هذا الملك المدعو خيتي واقفاً في حضرة الملك « نب ـ حبت ـ رع » ، وبجانب تلك الرسوم نجد النص الآتي : —

« في السنة الحادية والاربعين من حكم الملك نب ـ حبت ـ رع أتى حامل ختم الملك ظافراً وعاد بالسفن من واوات » فمن هذا النص نستنتج تاريخياً أنه في عهد « نب ـ حبت ـ رع » هذا قد ارسلت حملة إلى إحدى بلاد النوبة (الواوات) . ومما يؤكد ذلك أن لدينا قطعة من معبده ، وهي الآن في متحف جنيف ، رسم عليها أسير ملون باللون الاسود لون أهالي بلاد النوبة ، وكذلك عرفنا محاربته للنوبيين من نصوص ونقوش معبده في جبانة كما بينا سابقاً . ومما تجدر ملاحظته هنا أن تاريخ هذه النزوة هو السنة الحادية والاربعين من حكم هذا الملك ، مما يثبت لنا أن منتوحتب الثاني (نب ـ حبت ـ رع) قد حكم على الاقل إحدى وأربعين سنة ومما يدل على طول مدة حكم هذا الملك أيضاً ، أنه توجد لوحة حجرية في متحف تورين لاحد موظفي هذا الملك المدعو Merw وأهمية هذه اللوحة أنها تثبت لنا أنه قد حكم على الاقل ستاً وأربعين سنة ، بل أكثر من ذلك ، فقد وصل إلينا مدة حكم هذا الملك على بردية تورين مقدرة بإحدى وخمسين سنة ، وقد مكنه طول مدة حكمه هذا أن ينهي مشروعاته العظيمة Farina, Il papiro die Re, Roma 1938.

(٢) لدينا قطعتان حجريتان مكسورتان من نص تاريخي تفيد ان أن الملك نب ـ حبت ـ رع حارب قبائل العامو الساكنة على حدود مصر الشرقية ، وكذلك وجدنا رسوماً للعامو والاسيويين في معبده أي أنه ثبت لنا تاريخياً أن « نب ـ حبت ـ رع » هذا قد حارب العامو . وبما أننا نعرف أن العامو يسكنون على حدود مصر الشمالية الشرقية ، فاننا نستنتج تواً أن الملك الذي يحارب هؤلاء الاقوام لابد أن يكون أولا مسيطراً على الدلتا حتى يستطيع أن يتفرغ لمحاربتهم ، لانه لو كان أهل الدلتا معادين للملك لقطعوا عليه خط الرجعة ، ولهلك الملك وجيشه ، وهذا من أهم الادلة التي تؤيد سيطرة الملك على الوجه البحري

(٣) عرفنا محاربته لاهل ليبيا من نصوص ونقوش معبده .

ب — الملك امنمحات الأول [1]

كيفية اعتلائه العرش : عقب وفاة الملك منتوحتب الرابع (نب ـ تاوى ـ رع) آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة بغير وارث قام نزاع بين الأمراء [2] على تولي الحكم ويظهر أنه لم يكن بينهم أحد ذو شخصية بارزة . لهذا نرى أن امنمحات — وقد كان وزيراً لآخر ملوك الأسرة الحادية عشرة — يتطلع الى الملك ويمهد لنفسه بما أذاعه في البلاد من نبوءة ادعى وجودها منذ عصر صنفرو ، وهي تصف ما سيحل بمصر من الخراب وتنادي بأنه سيظهر ملك من الجنوب اسمهُ « امني » وهو مختصر امنمحات) يحكم الوجهين القبلي والبحري حكماً صالحاً فيوطد حكمه طمأنينة الناس وفرحهم .

ولقد ساعد على تحقيق مآربه واعتلائه العرش ما عرف عنهُ وهو وزير من نفوذ كبير فقد كان يحمل ألقاباً سامية غير الوزارة

على أن بعض العلماء يشك في أن الملك امنمحات هذا هو امنمحات وزير الملك منتوحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة على أحدث الآراء . ولكنهم لم يستطيعوا أن يفسروا لنا اجتماع العوامل المختلفة على تأييد وجهة نظرنا . فانه مسلّم من ناحية بأن الملك منتوحتب الرابع توفي عن غير وارث ، وأنَّ أحداً من الأمراء لم يثبت انه كان إذ ذاك يسمى باسم امنمحات وإن هـذا الاسم كان على وجه اليقين لوزير الملك المتوفي وان هذا الوزير كان ذا سطوة ونفوذ فليس هناك ما يدعو الى الوقوف عن ترجيح الرأي بأن يغتصب هذا الوزير

---

(١) حكم من عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد الى عام ١٩٧٠ ق. م. وليلاحظ الخطأ الشائع في بعض المؤلفات العربية من ايراد اسمه بالسين (امنمحت) أو بالياء (امنمحيت) بدلا من الالف وهذا الخطأ منشأه التعريب من المصرية القديمة . وليلاحظ انني أخالف كثيرين من العلماء في عدم عده مؤسس الدولة الوسطى وليلاحظ ان اسمه يبدأ بلفظ الاله « أمون » وانه يمكننا أن نستنتج من ذلك ان صاحبه من الجهة التي كانت عبادة الاله أمون سائدة فيها وبذلك الحين وعلى ذلك يكون امنمحات الاول من جهة الاقصر وأرمنت

(٢) هؤلاء الامراء كانوا عبارة عن ملوك صغار في أقاليمهم فلكل منهم جيشه الخاص وحاشيته الخاصة ومقبرته الخاصة التي حفروها في صخور قاصية ملكه .

الملك خصوصاً وان التاريخ من ناحية ثانية قد ضرب لنا أمثلة أخرى لمثل هذه الحالة عند ما قام الوزير « بارعمسو » نفسه ملكاً باسم رمسيس الأول وعند ما انتزع القائد حور محب العرش وتسمى باسم الملك « حور محب »

على ان هذا المنطق تؤيده أدلة تاريخية أخرى فكيف يمكن أن نجمع بين ما ورد في النبوءة السابقة الذكر من ان ملكاً من الجنوب سيتولى الحكم وبين ما هو ثابت من ان هذا الوزير كان من الجهة المذكورة ، لو لم يكن ما ذهب رأينا اليه صحيحاً .

ما اتخذه في سبيل تأييد عرشه وأهم أعماله : ما إن أحست البلاد المجاورة بأزمة الحكم في مصر حتى حشدت جنودها على الحدود الشمالية الشرقية والجنوبية تطلعاً الى آمال الغزو فبادر امنمحات فوراً الى طرد العدو بحزم وشدة شكيمة من تلك الحدود فأعاد الطمأنينة الى البلاد وكسب ثقة رعاياه.

اما الأمراء والحكام فقد سعى الى استمالتهم بما منحهم من اقطاعيات وما وسعه من دائرة أراضي بعضهم كما فعل مثلاً مع خنوم حوتب الأول إذ عينهُ حاكماً على منعات خوفو (بني حسن) ثم أقطعه بعد ذلك اقليم قسم الوعل وذلك مكافأة له على اخلاصه له ومساعدته إياه في حروبه الداخلية والخارجية .

وجرى الملك امنمحات الأول على سياسة توحيد الكلمة بين المتخاصمين فأخذ يطوف في القطر ويفض المنازعات بين الحكام ويبسط العدل .

وقد اقتضت الحكمة من ذلك الملك أن يهدم من سلطة حكام الأقاليم بإقامة كبار الموظفين منافسين لهم في النفوذ وجرى على تلك السياسة الادارية ملوك الأسرة الثانية عشرة من بعده حتى زال ما للحكام من سطوة نهائيًا .

وقد راعى الملك في توزيع السلطات الادارية ان يكون لولي عهده قسط فيها حتى يلم شيئاً فشيئاً بمختلف نواحي الحكم ويتدرب عليه ويمهد له السبيل ضماناً لبقاء العرش لخلفه فأشركه معهُ في الحكم إشراكاً فعليًا عشر سنوات كاملة قبل وفاته . وقد جرى على هذا النحو خلفاؤه من بعده. ولعلَّ ما أوعز اليه باتخاذ هذا التدبير تدبير مؤامرة غير موفقة لاغتياله

وقد تطلب تركيز السلطة الادارية في العاصمة ، نقلها من طيبة (لم يكن مكانها يتوسط

القطر إذ هي نائية عن مصر الشمالية وقريبة من الحدود الجنوبية) الى اثيتاوى (ومكانها الآن بالفيوم بالقرب من بلدة اللشت الحالية وعلى بعد أربعة أميال من جنوبي منف) . والى جانب هذا التعليل الاداري الذي يستند الى معنى « اثيتاوى » وهو قابضة الأرضين (أي الوجهين القبلي والبحري) قد تكون العلة في اختيار العاصمة الجديدة بين منف والفيوم متصلة بمشروعات الري العظيمة التي بدأت في ذلك العصر ولا سيما أن معظم الأراضي بجوار منف كانت ملكاً للبيوت القديمة التي أصبحت الآن ملكاً للتاج ومن ممتلكات الملك .

وإذا أضفنا الى واقعة بدئه حكمه باختيار موقع عاصمته الجديدة بين منف والفيوم ، وجود مقبرة له في هكل هرم بالقرب من الفيوم ووجود هرم ابنه سنوسرت الأول في جهة الفيوم أيضاً ووجود لوحة حجرية له في بلدة ابجيج بالفيوم ، وكذلك وجود بقايا مسلة له ما زالت كائنة في مزارع تلك البلدة ، رأينا في ذلك ادحاضاً صريحاً لما يزعمه بعض المؤرخين من ان اهتمام قدماء المصريين بجهة الفيوم قد بدأ في عهد الملك امنمحات الثالث وتأييداً لما نقوله من ان عناية ملوك الأسرة الثانية عشرة بها ترجع الى عهد الملك امنمحات الأول .

بعد ان فرغ الملك امنمحات الأول من التنظيم الاداري للبلاد بدأ في ارسال البعثات الى منطقة سينا لاستغلال المناجم واستخراج مسحوق معدن النحاس لتنمية موارد البلاد المالية وقد سار باقي ملوك هذه الأسرة على ما بدأ به هذا الملك في هذا الصدد . ولقد ظن بعض العلماء ان ارسال البعثات الى سينا لم يكن قد بُدىء فيه في عهد الملك امنمحات الأول وأنه قد استقل بذلك دونه من أتى بعده من ملوك هذه الأسرة . غير ان هذا القول مردود بما وجدناه في سينا من آثار للملك امنمحات ذاته . ويجدر بنا ان نذكر أن أهم ما كان يستخرج من مناجم سيناء هو مادة تسمى « الملخيت »[1] كانوا يطحنونها ثم يمدون الى

---

(١) لا يوجد النحاس فى مصر معدناً منفصلا فى الطبيعة ولكنه موجود في مركباته ومع ذلك فقد عرفه واستعمله قدماء المصريين منذ فجر التاريخ ، وكانوا أول من اكتشفه في العالم ، وأهم خامات النحاس المعروفة فى مصر هي « الملخيت » واسمه باللغة المصرية القديمة « شمت » وهو مكون من كربونات النحاس القاعدية ولونه أخضر وهو يكثر فى شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية، ويعد أقدم وأهم خامات النحاس التى استعملها قدماء المصريين . وقد استعملوه كذلك في أغراض شتى كتكحيل العيون والتلوين باللون الاخضر وكذلك في عمل الطبقة الزجاجية فوق القاشاني وفى عمل الخرز .

تسخين المسحوق الناتج الى درجة حرارة عالية فيحصلون منها على معدن النحاس . وهذا المعدن كان من أهم موارد الدولة في ذلك الحين . بل اتخذه ملوك هذه الأسرة مقوماً ماليًّا في التعامل .

وقد زاملت هذه البعثات بعثات أخرى لاستغلال المحاجر فقد ورد في النصوص ان هذا الملك بعث موظفيه الى وادي الحمامات لجلب حجر البرشيا وهو أحد الاحجار الجميلة التي كانت تستخرج من الجهة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر ليصنع منها الملوك تماثيلهم وتوابيتهم

وأقام هذا الملك حصناً أطلق عليه « جدار الملك » في وادي طميلات لا لحماية حدود الدلتا فحسب، بل لمراقبة القوافل الاسيوية الرحالة مما يدل على يقظة هذا الملك وحذره من أولئك الاسيويين . وقد دلتنا النصوص على ان اليقظة كانت شديدة والحراسة دقيقة في هذا الحصن .

ثم شيد الملك امنمحات الأول في طيبة مسقط رأسه معبداً عظيماً للاله آمون . كما بنى كما ذكرنا على شكل هرم مقبرة له بالقرب من الفيوم . ولما كان الملوك قد جروا على اقامة بلدة بجوار كل هرم يسكن فيها من ساهموا في بناء هذه الدار الخالدة من مهندسين وصناع وعمال ومراقبي العمل والنظام من رجال الجيش وكهنة وغيرهم فقد أقام هذا الملك بجوار هرمه بلدة كانت تسمى « كانفرو » .

أما سياسته الخارجية فقد قلنا فيما سبق إنه وقت أن ولي الحكم الملك امنمحات الأول تطلع الاسيويون في الشمال الشرقي الى مصر والنوبيون في جنوبها الى تهديد الحدود المصرية وإنه بادر الى ردهم على أعقابهم .

وقد حدث بعد أربعة وعشرين سنة من توليه الحكم أن قامت اضطرابات جديدة على الحدود الشمالية الشرقية من قبل الاسيويين فأرسل الملك حملة عسكرية قوية بقيادة قائده « نسومنتو » أخضعهم بها إخضاعاً لم يقم لهم بعدها قائمة لحين وفاته .

ثم بدأ اضطراب في العام التاسع والعشرين من حكمه على الحدود الجنوبية فأرسل ولي

عهده الهاب « سنوسرت » على رأس الحملة لإخضاع النوبيين فأفلح في غزو منطقة الواوات بالنوبة . ولعلّ تلك الحملة لم يكن غرضُها مجرد إخضاع النوبيين ، بل قصد بها أيضاً إلى الإستيلاء على ما اشتهرت به بلاد النوبة من الذهب والعاج وريش النعام والجلود . وهو ما تحقق على يد وليّ العهد رئيس الحملة.

وتروي لنا قصة « سنوهي » عن حملة ثالثة بعث فيها الملك بولي عهده سنوسرت على رأس جيش لمعاقبة الليبيين المتمردين على حدود مصر الشمالية الغربية . فعاد ولي العهد بعدد كبير من الأسرى ورؤوس لا تحصى من الماشية . ومع أن القصة لم يرد فيها تاريخ معين لهذه الحملة فإننا نستطيع أن نستنتج أنها تأتي في المرتبة الزمنية بعد الحملتين الأوليتين بما جاء في تلك القصة من أن ولي العهد اضطر في جنح الظلام الى العودة الى العاصمة تاركاً رآسة الحملة الى أحد قواده بمجرد أن بلغه خبر وفاة والده الملك .

وانتهى حكم هذا الملك بعد ثلاثين عاماً من توليه العرش . ونستطيع أن نقول إنه قد أصابه توفيق كبير في كلتا سياستيه الداخلية والخارجية، فبينما أفلحت وسائله في تركيز النفوذ في يد صاحب العرش بما كفل معه الاتجاه بجهوده الى تحقيق الإصلاحات الداخلية نرى أن حملاته العسكرية الثلاث قد أوتيت نجاحاً . فلا عجب أن يكون هـذا التوفيق المزدوج سبباً في أن : « يعم الأمن رعاياه عند وفاته » كما حدثتنا قصة سنوهي .

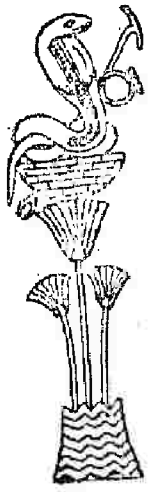

— الملك أحمس الأول

لا يعدُّ هـذا الملك من قديم الزمان أول ملوك الاسرة المصطلح عليهـا بأنها الأسرة الثامنة عشرة فحسب، بل يعتبر أيضاً على رأس عهد تاريخي نسميه الآن عهد وحدة مصر الثالثة (الدولة الحديثة)

وقد حكم أحمس الاول حوالي ٢٢ سنة أي من حوالي سنة ١٥٨٠ الى سنة ١٥٥٨ ق.م وهو ابن الملك الملقب بسقنن رع الثالث والملكة اياح حتب . ويغلب على الظن انه أخ للملك كاموزا ، ولو ان هذه المسألة لا تزال موضع خلاف . وقد تزوج الملك أحمس الأول بالملكة اعحمس نفرتاري

﴿ أهم أعمال هذا الملك ﴾: كان هذا الملك من أعظم الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر لا لأنه أخرج الهيكسوس من مصر كما سنرى فيما بعد ، بل لأنه وضع أساس سياسة داخلية جديدة للبلاد بل وسياسة خارجية سار عليها من جاء بعده من الملوك. وقد عادت هذه السياسة على مصر بفوائد جمة لمـا أدخله من الانظمة الادارية لقيام حكومة مركزية قوية في هـذا الحين ضماناً لاصلاح ما أفسده الهيكسوس ولاصلاح أحوال البلاد الاقتصـادية وتوطيد سلطة العرش والقضاء على كل سلطة محلية معارضة

فنرى الملك أحمس الأول هو القائد الأعلى للجيش وهو في نفس الوقت رئيس للحكومة يتدخل في كل كبيرة وصغيرة وذلك طبيعي في مثل هذه الأوقات التي تعقب جلاء المحتل .

وكان على الملك غير إشرافه على وزرائه أن يراقب موظفي المالية . وكان النظام المالي في ذلك الحين يقضي بفرض الضرائب السنوية على الأراضي والبهائم والأملاك الأخرى ما عدا المعابد والأملاك الخاصة بالآلهة، وعلى الأشخاص المملوكة للآلهة آمون فهي معفاة من الضرائب .

وقد قسم الملك احمس الأول المملكة المصرية الى أقسام إدارية وجعل على رأس كل قسم موظفاً يلقب « بحاتي ما » بشرط ألا يتصرف هذا الموظف في أي أمر إلا بعد عرضه على الملك.

فكان هذا الحاكم أو الأمير في صركز مماثل لمدير المديرية في الوقت الحاضر .

وأما القرى الصغيرة فكان يعين عليها أحد الكتبة تحت إشراف رئيس . وأهمية وظيفة الكاتب معروفة في مصالح الحكومة حتى اليوم .

ولقد امتدت مظاهر الرخاء المالي الى الناحية البنائية ، ففي عهد هذا الملك فتحت المحاجر من جديد واستخرج الحجر الجيري الأبيض الجميل من محاجر طره (أي بالقرب من المعصرة) واستعملت تلك الأحجار في بناء المعابد لآمون وبتاح وغيرهما .

وقد أصاب التلف والبلى أغلب آثار هذا الملك فنجد بقايا معبد له قرب أبيدوس . ويرجح أنه بني على شكل مدرج مثل معبد الملك منتوحتب الثاني من قبل ، والملكة حتشبسوت من بعد . ولم يقتصر النشاط الحربي لهذا الملك على مطاردة الهيكسوس ومتابعتهم الى فلسطين وتوحيد مصر بل يتعدى ذلك الى اتمام وحدة وادي النيل تحت عرشه وإخضاع السودان تحت لوائه .

وقد ترك لنا بعض كبار الموظفين تراجم حياتهم وما قاموا به من أعمال توضح لنا تاريخ عصر هذا الملك في السودان ، فهذا نص القائد البحري احمس بن ابانا يحدثنا أن قلب جلالة الملك كان منعماً بالسرور بعد ان أخضع الثوار في السودان ثم أبحر الى مصر بعد انتصاره .

وكان الملك يقابل إخلاص موظفيه وقواده بمنحهم الأراضي والعبيد ، فقد وهب أحمس ابن ابانا القائد السابق الذكر جزءاً يقدر بخمس أرورات من الأراضي الزراعية (والأرورة عبارة عن مائة ياردة مربعة) . وهذا مثل يدل على السلطة المطلقة الملوك في إعطاء الأراضي لمن يريدون . وهناك مثل آخر ولو انه وصل الينا من عصر متأخر أي من عصر رمسيس الثاني ولكن بعض عبارات هذا النص ترجع الى عهد هذا الملك . وهذا النص عبارة عن قضية معروفة بقضية Mes وتفيد أن أحد أجداد Mes كان معاصراً للملك أحمس فوهبه بعض الأراضي .

ولما قام به هذا الملك من جليل الأعمال لوحدة مصر ولوحدة وادي النيل نعلم تمام العلم انه ألّه هو وزوجته بعد وفاتهما في العصور اللاحقة .

٥ — الملك رمسيس الثاني

رمسيس الثاني هو ابن سيتي الأول من زوجته Tuya وهو يعدُّ من أعظم ملوك الفراعنة ذيوع اسم وأوسعها شهرة . وقد استمر حوالي سبعة من الفراعنة يسمون أنفسهم باسمه

وقد حكم الملك رمسيس الثاني حوالي ٦٧ سنة أي من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤ قبل الميلاد .

ويعتبر عصره من أزهى عصور الامبراطورية المصرية كما ان له مثل هذا الاعتبار من جهة وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر .

وقد بدأ رمسيس الثاني اصلاحاته الداخلية باستغلال مناجم الذهب في النوبة التي عني والده سيتي من قبل عناية كبرى باستغلال هذه المناجم .

وتذكر لنا النصوص ان حاكم السودان العام في عهد الملك ومسيس الثاني نجح في اصلاح الطريق الموصلة بمناجم الذهب وحفر الآبار ونصب لذلك حجراً أثريًا في وادي العلاقي عند كوبان .

وقد اتسعت الامبراطورية المصرية في عهد رمسيس الثاني فلم تعد طيبة المدينة الفرعونية العظيمة تصلح لأن تكون عاصمة لتلك الامبراطورية فاختار الملك رمسيس مكاناً بين أنحاء الامبراطورية التي تشمل سوريا شمالاً وبلاد السودان جنوباً فوقع اختياره على بلدة تانيس المجاورة للحدود الآسيوية وسماها « بر رمسيس »

وقد وصل الينا وصف هذه المدينة الجديدة في الاشعار المصرية القديمة وبانتقال العاصمة الى تانيس أصبح للدلتا مركز ممتاز فعظم شأنها .

ويعتبر عصر الملك رمسيس الثاني من أزهى عصور مصر من جهة فن العمارة والحفر فأضخم المعابد تنسب اليه ، وكذلك أضخم التماثيل والمسلات . وقد جدد معبد والده في

أبيدوس ، وأنشأ المعابد في تانيس ومنف والنوبة ، كما بنى الرمسيوم بطيبة ، وأضاف الى معبد الأقصر حوشاً كبيراً وصرحاً شامخاً . أما القاعة الكبرى ذات العمد بالكرنك التي بدأ سيتي بتشييدها فقد أتمها رمسيس الثاني وهي تعتبر من أعظم عمارات العالم القديم والحديث .

وأقام في السودان أكثر من ستة معابد وشيد في أبي سنبل أجمل معابد النوبة .

وقد عقد هذا الملك معاهدة دولية مع ملك الحثيين وهي تعتبر من أقدم المعاهدات الدولية (١)

وقد ذكرنا عند الكلام على الملك نب ـ حبت ـ رع أن في حفلة تتويج الملك رمسيس الثاني كانت تحمل الكهنة تماثيل بعض الملوك الذين حكموا قبل رمسيس الثاني أمثال الملك مينا ونب ـ حبت ـ رع وأحمس الأول .

وهذا يرينا أن حفلة تتويج هذا الملك العظيم كانت ذات أهمية تاريخية لاحتفالها أيضاً بذكرى أعلام وحدة وادي النيل الى جانب الاحتفال بتتويج الملك .

(١) أول فرعون أقام سياسة المعاهدات والتحالف هو الملك تحتمس الرابع ابن الملك امنحتب الثالث فقد عقد معاهدة صداقة مع بلاد الميتاني ضد دولة الحثيين .

الحروب بين ملوك الشمال

وملوك الجنوب

قبل عصر وحدة مصر الثانية

وصلت الينا أخبار الحروب الداخلية ، التي قامت بين ملوك اهناسيا في الشمال [١] وملوك طيبة في الجنوب [٢] من الطرفين المتحاربين بصورة تجردت نصوصها من معرفة السبب الحقيقي الذي من أجله نشبت تلك الحروب

فيمكن أن يكون سببها (ا) خلاف بين الفريقين المتحاربين على منطقة واقعة في حدود طيبة (بلدة ازوريس) ادعاها ملوك الشمال لأنفسهم وكانت في يد ملوك الجنوب (ب) وقد يكون السبب نزاع على الاختصاص الاداري بين موظفي الحدود كالحراس أو موظفي الضرائب في كل من المملكتين الشمالية والجنوبية (حـ) وقد يكون شعور أمراء الجنوب بالحاجة إلى توسيع حدودهم وشعورهم بقوتهم وبضعف الفريق الآخر (ء) وقد يكون تطلع أمراء الجنوب الى الرغبة في توحيد مصر مدفوعين الى ذلك بعامل القومية كما فعل الملك مينا من قبل والملك أحمس الأول فيما بعد

وأني شخصيًا أرجح السبب الأول مع السبب الرابع وذلك لأن الملك خيتي الثالث (واح كارع) وهو من ملوك الشمال اعترف في وصيته لابنه خيتي الرابع (مري كارع) بأنه ندم على تعديه على طيبة وقداستها مما اضطر ملك الجنوب الى الدفاع عن حدود منطقته الشمالية ردًا للاهانة وسعيًا وراء توحيد القطر المصري كله

والذي نعلمه عن هذه الحروب هو ان أول ملك من ملوك طيبة ذكر التاريخ أنه حارب

(١) وكان سلطان فراعنة اهناسيا يمتد من الدلتا وينتهي عند طيبة أو بلدة المرابة المدفونة ومقر عاصمتهم بلدة اهناسيا المدينة .

(٢) اما نفوذ فراعنة طيبة فكان يمتد من اسوان جنوبا وينتهي عند طيبة شمالا .

البيت الاهناسي هو الملك أنتف الثاني (واح عنخ) وذلك لأنه من الثابت ان المنطقة التي كان يحكمها هذا الملك تبدأ من الفنتين جنوباً وتنتهي في طينة شمالاً أي في القسم الاداري المصري القديم رقم ٨

* * *

وقد عرفنا من لوحة حجرية وجدت في الجورنه مؤرخة من عصر الملك (واح عنخ) وموجودة الآن في المتحف المصري وهي للسمير الأوحد جاري وفيها يذكر : « . . . بعد الحروب التي نشبت مع ملوك البيت الخيتي في المنطقة الغربية من طينة » ففي استطاعتنا أن نجزم من هذا النص بأن ميدان الحرب بدأ في أقصى المنطقة الشمالية التي كانت تحت حكم الملك انتف (واح عنخ) أي في بلدة طينة الواقعة في قسم ابيدوس

والظاهر أن نتيجة هذه الحرب كانت في مصلحة ملك طيبة لأننا نعلم فيما بعد ان حدود هذا الملك الشمالية وصلت الى منطقة أعلى من طينة وهي منطقة قسم الثعبان أي أنها وصلت إلى القسم العاشر الاداري من أقسام مصر الادارية

* * *

وقد حافظ هذا الملك على هذه الحدود إلى السنة الخمسين من حكمه لأن بالمتحف المصري لوحة مؤرخة في السنة الخمسين من حكمه يسجل فيها : « . . . ان حده الشمالي وصل الى قسم الثعبان » أي ان هذه المنطقة قد اعتبرت حدًّا شماليًّا . وعليه فالنتيجة النهائية هي انه في السنة الخمسين من حكم (واح عنخ) لم يتم الاستيلاء على اقليم ابيدوس فحسب ، بل وصل الى القسم العاشر

ولكن حكم ملوك طيبة على هذا القسم العاشر الذي انتصر عليه (واح عنخ) لم يستقر ولم يكن نصيبه الهدوء والسكينة ، بل ثارت بعض الاجزاء على من حكموا بعده كما ذكرت لنا لوحة حجرية لموظف يدعى « ايكا أورانتف » فنجد حاكم أسيوط المدعو « تف ابي » والذي كان يعاصر ويشايع الملك الاهناسي خيتي الثالث (واح كارع) يجلي جيش طيبة في موقعة بحرية على القسم العاشر باسم ملك الشمال ويضطره للرجوع جنوباً إلى حدود الطرفين القديمة أي إلى طينة .

ثم أرجع الملك منتوحتب الأول قبيل وفاته حدود مملكته كسابق عهدها الى قسم النعبان أي القسم العاشر .

ونعلم ان ابن « تف ايبي » المدعو خيتي والذي كان معاصراً لملك الشمال خيتي الرابع (مري كارع) قد حارب مع ملوك الشمال في القسم الحادي عشر ضد ملك الجنوب .

وبعد ذلك نجح ملوك طيبة في امتداد سلطانهم إلى شمال المنطقة الشمالية السابقة فاستولوا على أسيوط نفسها وهي في القسم الثالث عشر ، وبذلك ينتهي تاريخ أمراء أسيوط فعلاً أيام خيتي بن (تف ايبي) . وتكون منطقة القسم الثالث عشر هي أعلى ما بلغ اليه ملوك طيبة .

ونعلم بعد ذلك من نصوص حاتنوب الواقعة شمالي أسيوط أي في القسم الخامس عشر أن حروباً قامت في هذه الجهة أدت الى استيلاء ملوك طيبة على هذه المنطقة .

***

وأخيراً استطاع ملك طيبة المدعو « نب ـ حبت ـ رع » (منتو حتب الثاني) بعد ذلك من توحيد المملكة المصرية فابتدأ بذلك حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد عصراً جديداً ممتازاً في تاريخ مصر القديمة وهو المعروف بعصر وحدة مصر الثانية (عصر الدولة الوسطى) .

وقد استمر توحيد المملكة المصرية في عهد خلفه « سعنخ كارع » (منتو حتب الثالث) ونب ـ تاوي ـ رع (منتو حتب الرابع) وباقي ملوك عصر التوحيد الثاني .

وبهذه المناسبة نقول إن عدد ملوك بيت طيبة (المعروفين بملوك الأسرة ١١) وترتيبهم كالآتي على حسب أحدث الآراء :

(١) انتف الأول (سهرتاوي) (٢) انتف الثاني (واح عنخ) (٣) انتف الثالث (نخت ـ نب ـ تب ـ نفر) (٤) منتو حتب الأول (سعنخ ايب تاوي) (٥) منتو حتب الثاني (نب ـ حبت ـ رع ويقرأ خطأ نب ـ خرو ـ رع) (٦) منتوحتب الثالث (سعنخ كارع) (٧) منتو حتب الرابع (نب ـ تاوي ـ رع) .

ويلاحظ ان بعض هؤلاء الملوك كان معاصراً لملوك البيت الاهناسي كما شرحنا .

الهيكسوس

أصلهم وموطنهم الأول

اختلفت آراء المؤرخين في تحقيق أصل الهيكسوس وموطنهم وهم الذين غزوا مصر حوالي سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد.

فبعض المؤرخين يؤكد أنهم الفريق الذي هاجر الى مصر من سلالة آرية[١] كان موطنها بلاد ما بين النهرين [٢] في وسط آسيا، ثم هاجروا الى غربها حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد.

والبعض الآخر يقول إن أصلهم من أعراب شبه جزيرة العرب [٣] غير ان الابحاث الحديثة قد أسفرت عن أنهم من أصل سامي [٤] وموطنهم فلسطين [٥] وانهم من طائفة اليهود الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن الكريم

وقد رجحتُ الرأي الأخير في ملخص رسالتي للدكتوراه[٥] مستنداً في ذلك الى عوامل متعددة: منها ما أورده المؤرخ المصري القديم مانيتون من أن الهيكسوس «قوم شرقيون أتوا الى مصر من الشرق وانهم من بني اسرائيل بعد أن فند ما زعمه البعض من أنهم عرب»[٦]

ثم إننا نستخرج من مجرد تسمية المصريين للهيكسوس ما يؤيد الرأي المتقدم. فقد لقب الهيكسوس بألقاب متعددة في النصوص المصرية القديمة. أطلق عليهم اسم «حقاخاسوت» أي حكام قبائل فلسطين (حرفيًّا الأراضي الجبلية). وسموا «عامو» أي الاسيويين وعلى

---

(١) N. D. Mironov, Aryan Vestiges in the Near East, Acta Orientalia 11 (1933) p.150 50 ff.; Junkea, Geschichte der Aegypter, 1933 p. 105

(٢) E. Brogelmann, Noch einmal: Die Hyksosfrage, Z. D. M. G. Bd. 90 (1963).

(٣) King, Studies in Eastern History.

(٤) R. Dussaud, Revue de l'Histoire des Religions 1934 p. 113 ff. Pahour Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegyptne, 1934 p. 8 ff.

(٥) Pahour Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, 1934 p. 8 ff.

(٦) Waddell, Manetho, in Loeb classical Library, 1940 p 77 ff.

الأخص الساميين . وكذلك أطلق عليهم « منتيوستت » وهو اسم القبائل التي كانت تسكن الصحراء في شمال شرق مصر جنوب فلسطين . وأخيراً سموا باسم « شاسو » الذي كان يطلق على سكان شمال شرق مصر ويقصد به قبائل جنوب فلسطين أعني الجزء الذي به قبائل جنوب فلسطين والذي به قبائل سامية .

فجميع هذه الأسماء المختلفة التي أطلقها قدماء المصريين على الهيكسوس تدل دلالة واضحة على أنهم من أصل سامي وان لهم علاقة بفلسطين وهي الجهة التي كان يقطنها اليهود .

ومن الأشياء التي تساعدنا على تأييد التعليل السابق أن أغلب الاسماء التي جمعت عن ملوك الهيكسوس وأفرادهم في عهد وجودهم بمصر وهي التي لم يعرف أنها أسماء مصرية ، ترجع الى أصل سامي كنعاني . فعلى سبيل المثال نرى ضمن أسماء الملوك « يعقوب إل » « وعنات إل » وكلاهما اسم سامي كنعاني كما هو ظاهر . ومن أسماء الأفراد « عابد » و « نحمن » وهي أيضاً سامية كنعانية . فهذا يدل على أنهم كانوا من أصل يمت بصلة كبيرة الى العبرانيين .

غير ان بعض المؤرخين (١) يشير الى أسماء بعض ملوك الهيكسوس التي لم يثبت للآن أنها سامية مثل سلاتيس وبنون وأباخنان . ولكننا لا نرى في ذلك شيئاً من الغرابة إذا لاحظنا أن مثل هذه الاغارات تتكون في غالب الأحايين من عناصر مختلفة . مع ملاحظة ان هذه الأسماء وردت إلينا عن طريق المؤرخ مانيتون باللغة اليونانية فقط . وقد نقلها بالطبع عن اللغة المصرية القديمة ويحتمل جداً ان يكون قد أصابها التحريف فلا يمكن اذن الجزم بأنها ليست أسماء سامية .

وقد ظهرت في مصر على أثر غزوة الهيكسوس أسماء آلهة سامية كانت تعبد أصلاً في فلسطين وتلك الآلهة هي « عنات » و « بعل » . فلو لم يكن الهيكسوس ساميين لما نقلوا معهم آلهتهم السامية الى مصر .

* * *

ومن المسلَّم به أن الهيكسوس هم أول من أدخلوا استخدام الجواد والعربة الى مصر

(١) Junker, Die Aegypter p. 105

ونحن اذا تتبعنا تسمية المصريين للجواد وللعربة وجدنا انها أسماء سامية كنعانية . فالجواد كان يسمى « مسمت » وهي كلة كنعانية سامية . وأطلق على العربة « مركبات » وهي كلمة أيضاً سامية كنعانية . ولا يجوز عقلاً ان نفرض استعمال الهيكسوس لغير لغتهم الأصلية في تسمية هذه الأشياء ما لم يقم الدليل على ضدّ هذا .

وقد أظهرت لنا الحفائر الأخيرة في فلسطين [1] عدة مقابر ترجع الى عصر الهيكسوس ومؤرخة بأسماء ملوكهم فهذا دليل مادي على وجود صلة ما بين اليهود في فلسطين وما بين الهيكسوس في مصر .

كذلك معروف أن العبرانيين كانوا يعبدون الحمار فاذا توصلنا الى التحقق من عبادة الهيكسوس له استطعنا أن نقيم الدليل على أنهم من أصل سامي .

وفي سبيل ذلك نقول أنه وجدت في المقابر السالفة الذكر أربعة حمير مدفونة في مستوى أعلى من مستوى الأشخاص أنفسهم .

وفي هذا وحده دليل على عبادة هذا الحيوان . إذ لو كان دفنها في المقابر بقصد القربان لوجدت في مستوى الأشخاص أو تحتهم . وليس فوق هذا المستوى كما قد لوحظ فعلاً من وجود جياد مدفونة كقرابين في مستوى أقل .

وما دمنا قد ذكرنا أن هذه المقابر مؤرخة بأسماء ملوك الهيكسوس فإننا نستنتج من ذلك أن عبادة الحمار كانت سائدة بين الهيكسوس يؤيد ذلك أيضاً أن أحد ملوك الهيكسوس كان يسمى « عاقن » أي « الحمار القوي » [2] ومعروف ما جرى عليه الملوك من إدخال أسماء الآلهة في ألقابهم وقد أقر الأستاذ Bissing في مقاله :

"Das angebliche Weltreich der Hyksos" in Archivder Orient. For-schung. Julli 1937 p. 325 ff.

هذه الأسانيد صراحة فيما عدا هذا الدليل إذ يعترض بقوله أنه عثر على حمير وجياد مدفونة في مقابر أبي صنبل وترجع الى القرن الرابع والسادس الميلادي . وعلى هذا فدفن الحمير في مقابر فلسطين لا يدل على معاصرتها لملوك الهيكسوس . غير أنه فاته أن

(١) Petrie, Ancient Gaza, I, p. 3 ff.

(٢) Pahor Labib Die Herrschaft der Hyksos in Aeg., 1934 p. 25.

دليلنا قائم على ما هو ثابت من أن المقابر السالفة الذكر مؤرخة بأسماء ملوك الهيكسوس وهو دليل مادي حاسم . يضاف الى هذا استنتاجنا في عبادة الهيكسوس للحمار قائم كذلك على طريقة دفنه وهذه الطريقة لم تتوافر اطلاقاً في مقابر أبي سنبل . هذا فضلاً عن ان العالم المذكور لم يعترض على الحلقات الأخرى التي تساندت في تأييد بعضها بعضاً .

يضاف الى ما تقدم أنه على أثر غزوة الهيكسوس لمصر اختار الغزاة أحد آلهة المصريين وهو «ست» وساووه بآلهتهم . وكان مظهر هذه المساواة أن جعلوا الاله «ست» في لغتهم مخصصاً لكلمة حمار « عا »

ثم هناك مسألة أخرى تؤيد ان الهيكسوس أصلهم سامي ومن فلسطين ، وذلك انه معروف أن القوم المسمون باسم « خبيرو » في خطابات تل العمارنة المحررة بالخط المسماري هم قوم ساميون استولوا على فلسطين ومنها وسعوا سلطانهم وانهم مقيمون في فلسطين الى عهد أخناتون .

دلت أبحاثنا على ان كلمة «خبيرو» ترادف الكلمة المصرية القديمة «عبري» وهي عبري الحالية . وذلك لأن الخط المسماري لم يعرف حرف العين فكتب « خ » بدل « ع » . أما ابدال الباء بـ « پ » فمعروف في اللغة المصرية القديمة ، فمثلاً كلمة كرباج تكتب بالمصرية الفرعونية اسبر أو اسپر مع انهما استعملا معاً في عصر واحد في عهد وحدة مصر الثالثة (الدولة الحديثة) .

وأخيراً وجدت في إحدى مقابر بني حسن في أحد أركان الحجرة صورة تمثل قبيلة كنعانية مؤلفة من ٣٧ شخصاً من رجال ونساء وأطفال وفدت من فلسطين الى مصر في أيام الملك سنوسرت الثاني . وأول ما يلاحظ على تلك الصورة هو ان ملامح هؤلاء الأشخاص ولباسهم وأوصافهم واضحة الدلالة على انهم من أصل سامي . كما ان تلك الصورة ذكرت نقوشها انها كانت برآسة «إبشا» الذي يحمل لقب «حقا خاسوت» وهذا اللقب هو الذي اختاره ملوك الهيكسوس فيما بعد لأنفسهم ، بل أكثر من ذلك فان هذا النعت قد أطلقه المصريون على قبائل هؤلاء الغزاة قبل غزوهم مصر وبعد طردهم منها .

فاذا كانت هذه القبيلة سامية الأصل فلسطينية الموطن ولقب رئيسها بلقب ملوك

الهيكسوس فذلك مما يبعث على الاطمئنان الى تأييد ما نقوله من أن الهيكسوس كانوا من ذلك الأصل ومن هذا الموطن .

والى جانب ما تقدم هناك عدة أسانيد أخرى أوردناها في ملخص رسالتنا للدكتوراة لا نرى محلاً لها في هذه المقالة . غير أننا نستطيع ان نضيف الى تلك الأسانيد حجة جديدة لم ترد في رسالتنا تؤيد وجهة النظر السالفة من حيث ان الهيكسوس ساميو الأصل وهي ان هناك أثراً من العاج على شكل أبي الهول يضرب بأظافره مصرياً يمثل أحد ملوك الهيكسوس. وقد لاحظ العلاّمة شارف في كتابه « Handbuch der Archaeologie » الذي ظهر في عام ١٩٣٩ « إن ملامح هذا الملك الهيكسوسي واضحة الدلالة على أنه ساميّ الأصل »

***

عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

يشوب عصر الهيكسوس ظلام قال عنه الاستاذ بريستد في كتابه عن تاريخ مصر ما ترجمته : ان هؤلاء القوم لم يتركوا بعدهم في مصر إلاّ آثاراً يسيرة يصعب على الأثريين الاستدلال بها على شيء حتى على الوطن الأصلي لهؤلاء الغزاة ومدة حكمهم وكيفية سيادتهم »

على أنه بالرغم من هذا الظلام فقد تحدثنا عن أصل الهيكسوس وموطنهم الأول فأمكننا جلاء الغامض على قدر الجهد في هذه الناحية ونستطيع أن نكشف اليوم من هذا العصر أيضاً ، عن ناحية عاصمة ملكهم ومدة حكمهم .

يحدثنا مانيتون « ان الهيكسوس اختاروا بلدة هوارس عاصمة لهم وان الباعث على تسميتها بهذا الاسم يرجع الى أسباب دينية » فعندما نقارن هذا بما حدثتنا به الآثار نجد انهُ في الوقت الذي كان يحكم فيه ملوك طيبة في الجنوب اتخذ الهيكسوس لهم في الشمال بلدة تدعى « حات وعرت » (هوارس) عاصمة لهم ونرى أنها في الاصل الهيروغليفي تكتب بصورة القدم وهذه الكتابة تعطينا فكرة عن سبب رواية مانيتون من ان تسميتها راجعة الى أسباب دينية .

ويصح ان مانيتون عند ذكره هذا جالت بفكره قصة أوزريس . والمعروف ان أهم شيء في هذه القصة هو ان أجزاء جسم أوزريس قطعت بواسطة الاله ست ويصح ان يكون عضو من جسمه وهي القدم قد استقرت في هوارس (حات وعرت) وبذلك يكون معنى الاسم بلدة معبد قدم أوزوريس . ومن جهة أخرى نرى ان كلمة « وعرت » تعني « قدم » وهذا المعنى وصل إلينا كذلك من اللغة القبطية (المصرية) مما يجعلنا نقول ان التسمية من الوجهة الدينية جائزة .

وقد وصل الينا اسم هذه العاصمة في عصور متأخرة عن عصر الهيكسوس كما في بردية سالييه الأولى مثلاً ، مكتوباً في صورة أخرى غير صورة القدم وهي صورة رجلين أيضاً الى جانب القدم . فمن الجائز جداً ان المصريين بعد طرد الهيكسوس رسموا اسم المدينة بهذا الشكل للدلالة على خروج الهيكسوس منها . إذ أن معنى هذا الرسم الجديد هو مكان المهروب .

وذكر لنا نص الملكة حتشبسوت في معبد بالقرب من بلدة القوصية أنها أصلحت التلف وأكملت النافص بعد ما كانت البلاد تئن تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة حات وعرت (هوارس) في الدلتا . فنستوثق من هذا النص ان عاصمة الهيكسوس حات وعرت في الدلتا . ولا بدّ لنا من تحديد موقعها على وجه الدقة . لدينا لوحة حجرية لأحد الموظفين عاش في ادفو يخبرنا فيها : « انه سافر شمالاً حتى بلدة حات وعرت (هوارس) وجنوباً الى كوش » . وهذا النص يرينا أن الموظف سافر الى أقصى الشمال في الدلتا بالقياس الى كوش الواقعة في أقصى الجنوب .

ولدينا رسم لاسم المدينة يدل على انها واقعة على الساحل فهي إذن تقع في شمال الدلتا بالقرب من الساحل .

بعد ذلك لدينا رسم آخر لاسم المدينة يدل على أن شطراً منها يطل على طريق صحراوي وأخيراً بطريق مقارنتها مع بلدة أخرى تدعى « حات وعرت امتنت » أي حات وعرت الغربية » نعلم أنّ الأولى (عاصمة الهيكسوس) لا بدّ أن تكون في الجهة الشرقية . فهي إذن تقع في الشمال الشرقي من الدلتا على الحدود الصحراوية وعلى البحر .

وقد اختلف العلماء كما هو معروف في تحديد موقع عاصمة الهيكسوس . غير انّ

Gardiner [1] توصل الى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها معتمداً على عوامل متعددة . والعوامل التي بلغت به اليها يمكن تلخيصها فيما يلي : —

(أولاً) المكتشفات التي قام بها الأثري Montet [2] في بلدة تانس

(ثانياً) ثم تحليل Sethe [3] للوحة حجرية مؤرخة في السنة الأربعمائة من تجديد عبادة الإله ست .

وعلى ذكر ما تقدّم نقول إنه الى عهد قريب كان الرأي السائد بين العلماء هو أن عبادة الإله « ست » لم تأت إلى شمال شرقي الدلتا إلاّ أيام حكم الهيكسوس . والحقيقة أنها أتت الى هذه الجهة قبل ذلك بدليل النص الوارد في مقبرة « بحر نفر » الذي أثبته الأستاذ يونكن في مقالة عام ١٩٣٩ كالآتي : —

« كاهن الإله ست قائد المحاربين الذي في بلدته سزرت » والذي علّق عليه بقوله « سزرت هذه هي المنطقة التي تقع شمال شرقي الدلتا » فاذا كان تاريخ هذا النص هو الأسرة الرابعة فمعنى هذا أن عبادة الإله ست ترجع الى الدولة القديمة أي إلى ما قبل دخول الهيكسوس في تلك الجهة وهذا يفسر لنا لماذا كان جد ملوك الرعامسة وبعض ملوك قدماء المصريين يعبد الاله ست إله تلك الجهة .

(ثالثاً) تحليل نصوص مصرية أخرى ونصوص يونانية .

(رابعاً) مقارنة تبيّن أن الآلهة التي عبدت في « بر — رعمسيس » عاصمة الرعامسة هي بعينها الآلهة التي عبدت في « حات — وعرت » (هوارس) عاصمة الهيكسوس وعلى رأس هذه الآلهة الاله « ست »

***

وقد أسفرت هذه البحوث عن أن عاصمة الهيكسوس هي تلك البلدة التي اختارها فيما بعد الرعامسة عاصمة لملكهم ومعبودها « بر — رعمسيس » وكانت تسمى لدى الهيكسوس

---

(١) A. Gardiner, Tanis and Pi-Ramesse, A Retractation, Jour. Eg. Arch XIX p. 122 ff.

(٢) P. Montet, Les Nouvelles Fouilles de Tanis; P. Montet, Les Dieux de Ramses — aimé — d'Amon à Tanis (in Studies Presented to Griffith) p. 406 ff.

(٣) Sethe, Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Aera von Tanis

«حات ـ وعرت « هوارس » ثم أطلق عليها اليونان اسم « تانس » ثم أطلق عليها العرب الاسم الحالي « صان الحجر » الكائنة في شمال الدلتا الشرقي [١] حيث وجدت أخيراً آثار الملك هينشق . ونحن نلاحظ أن مدينة هوارس (حات ـ وعرت) التي اتخذها الهيكسوس عاصمة لهم لم تنشأ من العدم وانما قامت على أنقاض بلدة صغيرة كانت معروفة من قبل . وكانت الحكمة من جعلها قريبة من الحدود الشرقية للدلتا، هي أن تكون قريبة من بلادهم الأصلية ليسهل عليهم العودة الى وطنهم الأصلي في وقت الحاجة، أي بعبارة أخرى لأسباب جغرافية سياسية .

مدة حكم الهيكسوس

اختلف العلماء القدماء منهم والحديثون في تقدير مدة حكم الهيكسوس في مصر .

فيحدثنا مانيتون عن طريق افريكانوس ان مدة حكمهم في مصر هي ٩٢٩ سنة كما يحدثنا أيضاً عن طريق يوسيفوس ان مدة حكمهم في مصر لا تبلغ إلاّ ٥١١ سنة وهناك فريق من العلماء يسمون أصحاب التوقيت المطول الذين يتبعون توقيت مانيتون مثل Petrie يقدرون حكم الهيكسوس بمدة تقرب من خمسة قرون وربع قرن .

وهناك فريق آخر من العلماء يسمون اصحاب التوقيت المختصر مثل Meyer و Breasted يخالفون الرأي السابق ويعتقدون ان هذه المدة هي مائة سنة فقط . أما Dubois Richard [٢] فيظن وهو من أصحاب التوقيت المختصر أيضاً انها مائتا سنة .

أما نحن فنرى أن مدة حكم الهيكسوس تبلغ نحو قرن ونصف قرن أي من سنة ١٧٣٠ ق . م الى سنة ١٥٨٠ ق . م [٣] وقد توصلنا إلى هذه النتيجة مما يأتي : — من المستحيل الأخذ بفكرة التوقيت المطول لأنها تتعارض مع الآثار المعاصرة ومع التاريخ المقارن والتاريخ الفلكي وعلى هذا الأساس فان المدة التي وصلتنا عن طريق مانيتون وعن

(١) Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, p. 20 ff.

(٢) Dubois—Richard, Essai sur les Gouvernments de l'Egypte, Le Caire 1941, b. 50

(٣) Pahor Labib, opp. cit p. 22

أصحاب التوقيت المطول مبالغ فيها كل المبالغة لأن كل الفترة التي ما بين آخر الأسرة الثانية عشرة وأول الأسرة الثامنة عشرة لا تتعدى مائتي سنة وسبع سنوات (من ١٧٨٧ ق . م الى ١٥٨٠ ق . م) .

وأما نظرية بريستد وماير في أن مدة حكم الهيكسوس هي مائة سنة فقط خطأ . ذلك لأن بردية الملوك بمتحف تورين تذكر لنا أن مجموع مدة حكم ستة ملوك من الهيكسوس هو مائة وثماني سنوات [1] وهؤلاء الستة هم المعروفون بملوك الأسرة الخامسة عشرة أي ان مدة حكم أول أسرة هيكسوسية بلغ مائة وثماني سنوات فتكون أسرة واحدة من الهيكسوس حكمت وحدها أكثر من المدة التي قدرها بريستد وغيره من العلماء ، ولذلك لا يمكننا الأخذ بهذه النظرية . وكذلك نرى أن قول Dubois Richard مبالغ فيه أيضاً ، ذلك لأنه لدينا أهم مستند في هذا الموضوع يساعدنا على تحديد مبدأ دخول الهيكسوس مصر وهو لوحة حجرية كبيرة وجدت في مدينة تانيس وهي من عصر الملك رمسيس الثاني وهذه اللوحة التاريخية أقامها رمسيس الثاني تخليداً وتمجيداً لذكرى والده سيتي ولجده الأكبر المدعو أيضاً سيتي وتجديداً لعبادة الإله ست . وتتحدث هذه اللوحة عن ملك اسمه Nubtj وأوردت له إسماً ثانياً وهو « ست » القوي وأرّخت هذه اللوحة بيوم ٤ مسرى من السنة الأربعمائة من حكم « نوبتي » ست القوي ونعرف أن « نوبتي » هذا هو اسم الاله « ست » وهو مشتق من المدينة التي عبد فيها هذا الإله . إذاً هذه اللوحة التاريخية تتحدث (أولاً) عن عصر يرجع إلى ما قبل سنة ٤٠٠ من تاريخ إقامة هذه اللوحة . و (ثانياً) تتحدث لوحة الأربعمائة سنة عن تمجيد وتخليد ذكرى والد الملك رمسيس الثاني المدعو سيتي والمعروف بالملك سيتي الأول . وتتحدث كذلك عن أحد أجداد رمسيس الثاني وهو جده الأكبر المدعو سيتي أيضاً . وكانت وظيفته « رئيس فرقة الأقواس » تحت حكم الملك حور محب أي حوالي سنة ١٣٣٠ ق . م ومعنى ذلك أن كلاً من والد رمسيس الثاني وجدّه تسمّى باسم الاله ست لأن معنى كلمة سيتي « المنتسب الى الإله ست » لهذا نجد أنه ليس غريباً أن تتحدث

(1) Pahor Labib, op. Cit., p. 22

عن لوحة خاصة بتجديد (وليس تأسيس كما يزعم بعض المؤرخين) عبادة الإله ست في شرق الدلتا لأن عبادته وجدت قبل ذلك ولأننا نعلم أن الآلهة الذين عبدوا في مصر الهيكسوس في بلدة تانيس هم نفس الآلهة الذين عبدوا في هذه البلدة في عصر الرعامسة وعلى رأسهم الإله ست . وكذلك عرفنا أن عاصمة الهيكسوس « هوارس » هي نفس عاصمة الرعامسة « بر ـ رمسيس » وكلاهما مكان تانيس أو صان الحجر الحالية .

والآن بعد أن عرفنا أن الجد المقصود بهذه اللوحة هو سيتي وانه معاصر للملك حور محب فلنضيف الاربعمائة سنة الواردة في هذه اللوحة من عصر هذا الجد الذي كان معاصراً للملك حور محب الى السنة التي تولى فيها حور محب العرش وهي سنة ١٣٣٠ ق. م. فينتج لنا سنة ١٧٣٠ ق. م. وهي سنة تجديد عبادة الآله ست ومبدأ دخول الهيكسوس مصر لأن عبادة الإله ست جددت في أول عهد الهيكسوس عند ما جدد بناء العاصمة تانيس (هوارس) .

والآن بعد أن عرفنا ان سنة دخول الهيكسوس مصر هي سنة ١٧٣٠ ق. م. وان أول حكم الأسرة الثامنة عشرة هو سنة ١٥٨٠ ق. م. وهي سنة طرد الهيكسوس نهائياً من مصر نستطيع أن نؤكد ان مدة حكم الهيكسوس هي مائة وخمسون سنة .

مدى توغل الهيكسوس في مصر

يحدثنا المؤرخ مانيتون أن « الهيكسوس استولوا على مصر بسهولة وبغير حرب لأن أهل مصر كانوا في ثورة وهياج » وكلام مانيتون صحيح تؤيده مقارنة الآثار ، إذ أننا نرى أنه ابتداء من منتصف الأسرة الثالثة عشرة (أي حوالي سنة ١٧٥٧ ق . م) عمت الفوضى البلاد وبدأ الضعف يدب في صميم الدولة

فبردية Sallier I (وهي محفوظة في المتحف البريطاني وتاريخها يرجع الى عصر الملك منفتاح ومحتوياتها ترجع رغم ذلك الى عصر الهيكسوس) تورد الجملة الآتية : —

« حدث أنه كان في أرض مصر خطر أو وباء ولم يكن هناك سيد ما ملكاً بينهم » .

فيتضح لنا من هذا النص التاريخي القديم إن مصر كانت في حالة فوضى وأن المصريين عجزوا عن إقامة ملك منهم مما سهّل فيما بعد على الهيكسوس الاستيلاء على مصر حوالي سنة ١٧٣٠ ق.م

وقد جاءت أحوال مصر السيئة مؤاتية للغزاة في وقت كان الضغط عليهم في بلادهم يزداد شدة ويدعو الى هجرتهم نتيجة لإغارات حلت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وكان مردّها الى حركة اندفاع الشعوب الهندية الأوربية (الآرية) في آسيا وهجرتها ولاسيما وقد دخلوا مصر بخيلهم وعرباتهم وغير ذلك من الفنون الحربية التي يجهلها المصريون فتفوّق الهيكسوس من الوجهة الحربية سهّل لهم الاستيلاء على المدن والقرى فاستولى الغزاة على ممفيس برغم موقعها الحربي المنيع. ونعلم ذلك من نص مكتوب بالهيراطيقي على لوحة معروفة بلوحة كارنارفون

وعلى لوحة كارنارفون هذه نصٌّ آخر يؤيد برديّة سالييه السابقة الذكر وفيه أن «ملكاً من الجنوب من طيبة يدعى كامس جمع قوّاده وخاطبهم قائلاً: «أريد أن أعرف ما هي قوّتي اذا كان هناك أميرٌ في بلدة حات وعرب (عاصمة الهيكسوس) وأميرٌ آخر في بلدة كوش وأنا جالس مع أسيوي ونوبي [1] كل واحد منهما يملك نصيبه في أرض مصر ويشاركني الأرض أنا لم أعطهِ الفرصة أن يصل حتى ممفيس ولكن أنظر الآن فقد تمّ استيلاؤه على الأشمونين» [2].

فمن هذه النصوص نخرج بأن الهيكسوس توغلوا في الدلتا ثم استولوا على ممفيس ثم وصلوا الديار المصرية الى بلدة الأشمونين.

وفي ردّ القواد السابقي الذكر على الملك كامس، وهو ردٌّ نجده أيضاً على لوحة كارنارفون نجد أن هؤلاء القواد ردّوا على الملك قائلين: «ولو أن الهيكسوس وصلوا الى بلدة القوصية (الواقعة بالقرب من ديروط) وأخرجوا ألسنتهم دفعة واحدة سنكون في هدوء لأننا نملك مصرنا ولأن (الفنتين) قوية والجزء الأوسط من مصر في حيازتنا حتى القوصية. وعلاوة على ذلك

---

(١) دليل على أن السودان انفصلت عن مصر

(٢) Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos, p. 17 ff.

تحرث لنا أحسن أراضيهم ومراعينا ما زالت في الدلتا فالغلال ترسل الى خنازيرنا وكذلك لم يستولوا على مواشينا »

فمن هذا النص نرى أنه يمكننا تعيين الجهة التي وصل إليها الهيكسوس في مصر وهي جهة القوصية، بل يرينا هذا النص كذلك أن الهيكسوس في الدلتا لم ينزعوا ملكية الأراضي التي كان يملكها فيها أهل الصعيد . ومع ذلك فهناك طائفة من العلماء أمثال بتري وأدوارد ماير ويونكر تظن أن الهيكسوس توغلوا في الأراضي المصرية الى أبعد من ذلك. ويستندون في رأيهم هذا إلى قطعتين من الحجر وُجدتا في جبلين (بالاقصر) عليهما أسماء الملك خيان [1] والملك أبوفيس .

ولكننا لا نعد هذين الحجرين دليلاً كافياً على صحة ما تذهب اليه هذه الطائفة من العلماء وذلك لأننا نلاحظ أن الملوك الذين أتوا في العصور المتأخرة عن عصر الهيكسوس أخذوا آثار الهيكسوس ونقلوها من مكان الى آخر

فمثلاً : ان جاردنر وجد أناءً من الجرانيت للملك ما أوسر رع أبوفيس في مقبرة الملك امنحتب الأول في طيبة .

إذن فلنمض في تأييد وجهة نظرنا ولنورد نصًّا آخر يؤيد نص لوحة كارنارفون وهو نص الملكة حتشبسوت في معبد Speos Artemidious بالقرب من القوصية فقد جاء فيه ان الملكة أصلحت معبد حاتحور وجددته وقد كان في جهة القوصية وكذلك المعابد الأخرى التي هدَّمها الهيكسوس حتى بلدة القوصية . وهو يحملنا على الظن أن معبد بلدة القوصية هو آخر معبد وصل اليه تخريب الهيكسوس . والنص بالحرف يقول : « لقد أصلحت التلف وأكملت النقص بعد ما كانت البلاد تئن تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة هوراس (حات وعرت) في الدلتا » . فهذان النصان يؤيدان أن الهيكسوس وصلوا فقط إلى بلدة القوصية .

---

(١) هو المعروف عادة بأنه أعظم ملوك الهيكسوس لأن معظم آثاره وجدت ليس في مصر فحسب بل في جزيرة كريت وفي فلسطين وبغداد ، فمن انتشار آثار الملك خيان بهذه الكيفية استنتج بعض العلماء ومن بينهم ماير وبريستد أن امبراطورية الهيكسوس كانت ضخمة ممتدة من الفرات إلى الشلال الاول . والبعض قال إن ملك خيان لم يشمل جميع هذه الارجاء وانما امتد نفوذه اليها ، والحق أن لا هذا ولا ذاك .

ثم أننا نجد تعزيزاً لهذا الرأي في ادارة الحكومة في الأسرة الثامنة عشرة أي بعد طرد الهيكسوس مباشرة . فالمنطقة من بلدة الفنتين الى ما بعد أسيوط بقليل أي الى ما يقرب من القوصية كانت من اختصاص أحد الوزراء ، ثم من القوصية الى أعلى الدلتا كانت من اختصاص وزير آخر .

فالرأي ان المنطقة من الشمال الى القوصية هي المنطقة التي استولى عليها الهيكسوس لا سيما وإننا نعلم أنه كان بين المنطقتين حدود محصنة ترجع الى ما قبل عصر الهيكسوس فوقف عندها تقدمهم في أغلب الظن . ونجد هذا التقسيم يستمر الى ما بعد عصر الهيكسوس فقد استمر الى عصر الملك بعنخي مما يدلنا على ان هذا التقسيم كان مهمًّا وأن هذه الحصون يصعب اقتحامها .

ومن ظريف ما يروى في هذا الصدد أن اسم أسيوط بالمصرية القديمة معناه « الحارس » وهذا مما يؤيد وجهة نظرنا ويرينا كيف تمتزج السياسة بالدين .

وهناك سبب آخر يؤيد القول بأن الهيكسوس لم يستولوا على مصر بأجمعها ذلك أننا نعلم تمام العلم أن هناك ملوكاً وطنيين جعلوا مقرهم في طيبة وطردوا الهيكسوس من مصر كما سنرى فيما بعد .

ومن الطبيعي أن طيبة كان لها ملوكها المصريون طيلة عهد الهيكسوس فكان هناك في الواقع فريقان: فريق الشمال وهم الهيكسوس الذين حكموا حتى بلدة القوصية ، وفريق آخر مصري حكم من الفنتين الى القوصية ، وبذلك تكون غزوة الهيكسوس قد اقتصرت على الدلتا حتى بلدة القوصية .

مطاردة الهيكسوس في مصر

جاءت هذه المرحلة أدواراً كثيرة أهمها :

ما وصل الينا من عهد الملك « سقنن رع » الملقب « تى » أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة . والدور الذي لعبه ذلك الملك في مطاردة الهيكسوس مذكور في بردية ساليه بالمتحف البريطاني ، ثم ما ورد في لوحة معروفة بلوحة كارنارفون بالمتحف المصري ، وهي لوحة خشبية

كتب عليها بالهيراطيقية ملخص الحرب التي دارت بين الملك كامس والهيكسوس، ثم النص الذي يحدثنا فيه القائد أحمس بن أبانا عما قام به الملك أحمس الأول في سبيل طرد الهيكسوس من مصر.

أما المصدر الأول فيذكر ان الملك « سقنن رع » كان ملكاً على اقليم طيبة وكان يعاصره ملك من الهيكسوس يدعى « ابوفيس ». وقد جمع ابوفيس في أحد الأيام كبار قومه وتحدث معهم وربما كان الحديث حول تدبير مؤامرة لاغتيال الملك « سقنن رع » وها هو ذا جزء من هذه النصوص تدلنا ترجمته على ما ذهبنا اليه : « ... انقضى زمن طويل بعد ذلك، فأرسل الملك ابوفيس الى الملك « سقنن رع » بالعاصمة الجنوبية (طيبة) رسالة ولما وصل رسل الملك أبوفيس الى طيبة أحضروا الى ملكها — فسأل أحد رسل الملك أبوفيس هذا السؤال : لماذا جئت الى العاصمة الجنوبية ولأي سبب سافرت مع زملائك طوال هذه المدة ؟

فأجاب أن الملك ابوفيس أرسلنا اليكم لنخبركم بأن ذب البحر الساكن في بحيرة طيبة يمنع جلالته من النوم نهاراً وليلاً وصياحه يزعج أذني الملك ». «حزن الملك سقنن رع وتألم ولم يرد الجواب. ثم عاد رسول الملك ابوفيس الى سيده ... » ومن سياق الكلام نفسه نعلم انه على أثر ذهاب رسول ابوفيس الى سيده دعا سقنن رع قواده ورؤساء حكومته وأخبرهم برسالة الملك أبوفيس فسكتوا جميعاً ولم ينطقوا بكلمة واحدة (وهنا سقط الأصل) ولم تكمل القصة التي كانت تحوي كثيراً من المعلومات التاريخية.

فمن الجائز أن يكون رسل الملك أبوفيس عبارة عن أفراد عصابة أرسلها الملك لاغتيال حياة « سقنن رع » ولما خابوا في مهمتهم عادوا بعد أن اختلقوا الحيل ولفقوا الأسباب التي من أجلها أرسلهم ملكهم. كذلك نعلم أن جثة هذا الملك « سقنن رع » وجدت في معبد الدير البحري وفيها آثار جروح نتيجة ضربات مميتة فهل معنى ذلك أن هناك مؤامرة دبرت لاغتيال هذا الملك العظيم؟ أم أنه سقط صريعاً في ميدان القتال ثم أنقذ أحد أتباعه جثته من العدو؟

أرجح شخصياً الرأي الثاني وذلك لأن آثار الجهاد واضحة في جثة هذا الملك وهذا ما يحملنا على الظن أنه ثار على الغزاة وأوقد الحمية في صدور شعبه، فقاموا قومة رجل واحد

ليطردوا الهيكسوس من مصر . ويؤيد ذلك أن خليفة هـذا الملك وهو إبنه كامس واصل الحرب ضد الهيكسوس .

أما المصدر الثاني وهو لوحة كارناڤون فقد عرفنا تفاصيلها عند ما تكلمنا عما وقع تحت حكم الهيكسوس من المناطق المصرية .

والمصدر الثالث عبارة عن نص القائد البحري أحمس بن أبانا . إسمه أبانا نسبة الى اسم أمه وقد كان ذلك شائعاً عند قدماء المصريين مما يبين لنا مركز المرأة قديماً . أما إسم والده فقد كان « بابا » وقد كان بابا والد القائد أحمس هذا معاصراً للملك سقنن رع .

وقد ظهر هذا القائد في المرحلة الأخيرة من مطاردة الهيكسوس وعاش في بلدة الـكاب . وقد بدأ حياته العملية أيام الملك أحمس الأول الذي عينه قائداً في إحدى السفن . والذي يهمنا في نص هذا القائد [1] من الوجهة التاريخية في موضوع مطاردة الهيكسوس هو ما يأتي :

« ... كنت اتبع الملك ماشياً عندما ركب عجلته وعند ما حاصر الملك بلدة حات وعرت (هوارس) وقد أظهرت شجاعة على قدمي ماشياً أمام جلالته وبعد ذلك رقاني (جلالته) الى السفينة المسماة « خع ام من نفر » ثم حارب الملك على مياه قناة ياجودكو الواقعة جهة حات وعرت (هوارس) ثم حاربت وأحضرت يداً وبُلّغت هذه المسألة الى كاتب سر الملك فأنعم عليّ بعد ذلك بذهب الشجاعة ، وحارب الملك بعد ذلك في أجزاء مصر الواقعة في جنوبي هذه البلدة » .

وقد اختلف العلماء فيما هو المقصود من البلدة التي حارب الملك جنوبيّيها فبعضهم يقول إن المقصود بها « بلدة هوارس » المذكورة في النص ، والبعض الآخر يقول إنها بلدة الـكاب حيث مقبرة هذا الموظف الذي كتب لنا عن تاريخ حياته . وأرجح أنا شخصيًّا الرأي الثاني لأنه ليس من المعقول أن تثور مصر كلها في هذا الوقت العصيب ضد الملك أحمس الأول . فالمقصود إذن هي مدينة الـكاب . ويستنتج من ذلك أيضاً استمرار إغارة النوبيين على مصر .

وقد جاء في نفس نصوص هـذه المقبرة ذكر تلك الإغارة التي كانت في عهد الملك الذي

---

(١) K. Sethe, Urkunden der 18. Dynastie

صبق احمس وهو كامس . « وبعد ذلك استولى الملك على مدينة حات وعرت (هوارس) وكنت قد أحضرت من هناك غنيمة رجل واحد وثلاث نسوة أي أربع رؤوس (أسرى) »

ثم يستمر النص فيقول : « وقد أعطاهم جلالته إياهم كعبيد » « ثم حاصر الملك بلدة شاروهن مدة ثلاث سنوات واستولى جلالته عليها »

فمن هذا النص نستنتج محاصرة الملك بلدة هوارس عاصمة الهيكسوس ثم استيلاءه عليها وبعد ذلك مطاردته الهيكسوس في عقر دارهم ومحاصرته بلدة شاروهين بعد أن تعقبهم الملك إليها ثم استولى عليها بعد محاصرتها ثلاثة أعوام . وهذا مهم من الوجهة التاريخية إذ يبين لنا ان أحمس الأول طرد الهيكسوس من مصر بعد ان استولى على عاصمتهم ثم طاردهم إلى جنوب فلسطين .

وبذلك نختم الجزء التاريخي الذي يهمنا في مطاردة الهيكسوس من نص القائد أحمس ابن أبانا .

وبحكم الملك أحمس الأول ينتهي حكم الهيكسوس ويعتلي ملوك طيبة ثانية عرش مصر ويبدأ تاريخ عصر هام تحقق فيه توحيد مصر من جديد وهو ما نسميه « بعصر الوحدة الثالثة » و « المسمى بعصر الدولة الحديثة » طبقاً لما هو شائع . وذلك لأنه على يدي أحمس الأول تمت مطاردة الهيكسوس من البلاد المصرية وعلى يديه كذلك رجعت الى مصر الوحدة القومية لأن حرب مطاردة الهيكسوس لم تكن حرب استقلال فقط بل هي أيضاً فرصة اغتنمها ملوك طيبة لكي يسيطروا على القطر المصري بأجمعه . وقد تم لهم ذلك على يد عميدهم الملك أحمس الأول . وهنا نرى ظهور نفوذ طيبة السياسي للمرة الثانية بعد أن ظهر أولاً في أيام الدولة الوسطى ولم يكن أبرز الأشياء في هذا العهد انتصار فراعنة على آخرين وإنما كان مطاردتهم شعباً أجنبياً .

وبالرغم من الاضرار التي عادت على مصر من حكم الهيكسوس من تفكك في الادارة وتصدع الوحدة إلاّ أن المصريين جنوا من عصر هؤلاء المغيرين الفوائد الآتية :

عند مطاردة الهيكسوس أخذت مصر تتطلع إلى البلاد الآسيوية المجاورة لها ولا سيما فلسطين وسوريا وأصبحت جزءاً من مصر أي نظرت اليها كأجزاء لا يمكن الاستغناء عنها

وبذلك أصبحت مصر أمة غير منعزلة عن باقي العالم وأصبح لها مقام دولي علمي محدد في مراسلات أو معاهدات دولية . كذلك كان لغزو الهيكسوس لمصر مزايا لا يمكن انكارها ظهرت آثارها فيما بعد ظهوراً واضحاً بما أثمره من رخاء . فمثلاً استفاد المصريون أشياء كثيرة أثرت في الصناعة المصرية ومنها صناعة العربات التي كانت سبباً في تعلم المصري هذه الصناعة وترقيتها وتشغيل الأيدي العاملة من المصريين والسودانيين فيها فيما بعد وما يتبع ذلك من عمل الجواد وغيره للعربة وللجياد وهناك كذلك صناعة أخرى هي صناعة الأسلحة ولا سيما الخناجر فبذلك زادت أعمال الشعب المصري في هاتين الصناعتين .

ومن مميزات غزو الهيكسوس لمصر إنشاء جيش نظامي دائم مجهز بالأسلحة ومزوّد لأول مرة في تاريخ مصر القديم بالجياد والعربات الحربية وذلك لأن الهيكسوس هم أول من أدخل الجواد والعربة في مصر ، وزيادة على ذلك استفاد المصريون أثناء وجود الهيكسوس في مصر استعمال الجواد والعربة في الحروب فتعلموا من الهيكسوس الفنون الحربية وطرق الكفاح المختلفة فثاروا في وجه الغزاة كما تقدم ثورة موفقة وعلى ذلك كان حكم الهيكسوس في مصر من العوامل التي قوت في الشعب المصري لأول مرة في تاريخه روح الكفاح .

طلب الحرية فنالها ثم عرف طعم الحرب وتذوّق معنى الانتصار فخرج من مصر يطلب الغزو والحرب فتولدت في الشعب المصري روح الاستعمار . ومن الطبيعي أن يتبع ذلك كثرة الوظائف الحربية والمدنية أي وجود أيادٍ عاملة في مصر وفي خارجها وقد استنتجنا ذلك من الألقاب التي كان أكثرها غير معروف قبل عصر الهيكسوس

وكان المصريون يفخرون بوظائفهم الحربية وقد أشارت الى ذلك نقوشهم وازداد تهجيم الملوك للقواد الحربيين فأعطوا الأراضي ومنحوا النياشين بل فرض أغلب ملوك عصر الوحدة الثالثة على أولياء عهودهم دراسة الفنون الحربية في مدرسة أو كلية أنشئت خصيصاً لذلك في منف [1] بل أكثر من ذلك فقد فرض على أولياء العهود أن يتولوا إدارة مصنع بناء السفن والأسطول (دار الصنعة) الذي أنشيء في هذا العصر على مقربة

(1) Helck, Der Einflnss der Militärführer

من منف . ونذكر هنا أن ولي العهد امنحتب بن الملك تحتمس الثالث وهو الذي عرف فيما بعد باسم الملك امنحتب الثاني كان يشرف على ادارة مصنع بناء السفن والأسطول[1]. وكذلك كان من نتيجة غزو الهيكسوس مصر تأميس امبراطورية مترامية الأطراف تدفقت الخيرات منها على مصر كما تدفقت الأموال على بيت فرعون فعمّ الرخاء وازدادت موارد مصر كثيراً مما أدى الى تقدم المدنية المصرية .

وكان من الفوائد والمميزات الكثيرة التي عادت على مصر بالخير أيضاً بعد غزوة الهيكسوس ظهور شبه انقلاب في السياسة وفي الحالة الاجتماعية حتى أدمجت في اللغة المصرية نفسها كلمات كنعانية كثيرة .

(1) Glanville, Aeg. Zeitschrift, 66.

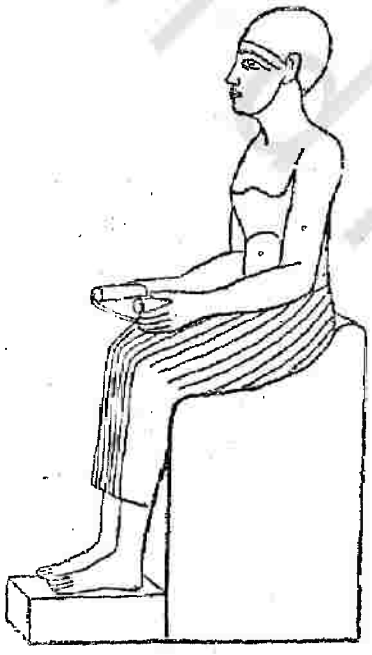

الوزير امحوتب اله الطب

الملك ايخ — إن — آتون [1]

الملك إيخ — إن — آتون ، أو كما يسميه كثير من كتّاب التاريخ المصري القديم ، اخناتون على سبيل التخفيف هو ابن الملك امنحتب الثالث من زوجته « تي » التي اختارها الملك من طبقة الشعب المصري لا الأسيوي ، كما زعم بعض المؤرخين ، فهي كريمة الأبوين المصريين يويا وتويا .

وأهم دافع حفزني للبحث في هذا الموضوع هو دراسة نظام الحكم في عصر هذا الملك وسابقيه من ملوك عصر الوحدة الثالثة (الدولة الحديثة) وبيان مبلغ سلطة هؤلاء الملوك : أكانت استبدادية مطلقة حقًا كما يقول المؤرخون أمثال بريستد وماير ويونكر وموريه وبتري وسائر الباحثين ، أم أن الرأي بعكس ذلك كما انتهت اليه بحوثي وعلى ما سأعرضه الآن

كان نظام الحكم في مصر القديمة يتوقف على مقدار ما تتصف به سلطة الملك من القوة والضعف . واذا عرفنا أن الحكومة والملك شيء واحد ، وأن الحكومة قديماً كانت تتمثل في شخص واحد هو الملك وتتجمع في شخصه مختلف السلطات ، أدركنا أن الحكومات كانت تتغير حسب سلطة الملك قوةً وضعفاً فتصبح مطلقة أو مقيدة بقوة أخرى ،وهذه الظاهرة لم تقتصر على عصور الفراعنة المصريين ، بل نجد ما يشابهها في فرنسا في زمن الملك لويس الرابع عشر حينما ابتدع نظرية « الحكومة أنا وأنا الحكومة » .

والرأي السائد حتى الآن بين العلماء والباحثين أن سلطة الملوك في الفترة بين احمس الأول وايخ — ان — آتون كانت استبدادية مطلقة وأن نفوذ الأمراء زال تماماً تبعاً لانصوائهم في خدمة الملك كمديرين لمقاطعاتهم .

ولكن عند التعمق في دراسة هذا العصر وبحثه يجد الفاحص المدقق أن هناك مشكلة دقيقة تواجه المؤرخ وهي هل كانت سلطة الملك ايخ — ان — آتون ومن سبقه من ملوك

---

(١) زوجته الملكة نفرتيتي واحبة الامثال الجميل المشهور بتصف يولين ، ونفرتيتي معناه باللغة المصرية « الجميلة اتت » .

عصر الوحدة الثالثة استبدادية مطلقة ، أم كانت سلطتهم يضعفها وجود نظام اقطاعي خاص ؟

وبعبارة أخرى هل كان الملك ايخ ـ إن ـ آتون ومن سبقه من ملوك عصر الوحدة الثالثة منذ أيام تحتمس الثالث في قوتهم وسلطانهم كما يظهرهم التاريخ هم الواضعون لأساس النظام الاقطاعي الذي ظهر جليًّا في عهد الملوك الذين تولوا الحكم بعد تحتمس الثالث بحيث انه عند ما تولى ايخ ـ إن ـ آتون الملك . ورث النظام الاقطاعي الخاص الذي كان على أيام سابقيه ، والذي قيَّد من سلطتهم ، خلافاً لما كان معروفاً عنهم من قبل ؟

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء ، فنجد أنه يمكننا القول ان الملوك المصريين القدماء لم تبلغ سلطتهم من القوة مثل ما بلغت في عهد الملك احمس الأول ومن تلاه من الملوك حتى عهد تحتمس الثالث (لأنهم أصحاب الفضل في تخليص مصر من أيدي الغزاة فأمكنهم أن يركزوا في أيديهم كل السلطات المختلفة في مقر حاضرتهم طيبة). ولكن من سوء الحظ كان الملك احمس ومن خلفه من الملوك على عرش مصر يمنح الآلهة المتعددة في مختلف الأقاليم (أمنال آمون في طيبة ورع في عين شمس وبتاح في منف وهكذا) أراضٍ يجعل ملكيتها باسم الآلهة المختلفة ويلحق بها امتيازات كان الملوك يعتبرونها في بادىء الأمر اعترافاً بجميل هذه الآلهة على ما نالوه من نصر في حروبهم أو بعثاتهم .

وهنا نرى شيئين خطيرين . أولاً : ان الملوك وهبوا أراضٍ واسعة للآلهة في مختلف الأقاليم . ثانياً : ان الملوك أعفوا هذه الأراضي من الضرائب بل وأضافوا اليها امتيازات أخرى .

***

وقد زادت هذه الأراضي زيادة غير منتظرة ولم يصبح منحها اعترافاً بالجميل للآلهة ، بل أصبح دليلاً على الضعف والتودد وانعكست الآية في عهد الملوك اللاحقين لعصر تحتمس الثالث ، فلم يعد الكهنة خاضعين لسلطان الملك كما كانوا في أول الأمر بل شعروا بنفوذهم وسلطانهم الذي أخذ في الازدياد في الوقت الذي أخذ فيه سلطان الملوك يضعف وينقلص .

فما بوادر هذا الضعف من جانب الملوك وما هي مظاهر هذا الجاه وتلك السطوة من جانب رجال الدين ؟

(أولاً) : لم تصبح ادارة المعابد بعد خاضعة لإدارة الحكومة المركزية كما كانت من قبل ، بل استقلت عنها تماماً . وبالتالي أصبح موظفو هذه المعابد ومديروها من الموظفين الدينيين تحت إمرة رئيس الكهنة في كل معبد .

وكانت ادارة هذه المعابد وأملاكها تتناول كثيراً من النواحي الزراعية والصناعية والفنية والاقتصادية والعلمية .

فمن الناحية الزراعية كان عدد كبير من العمال يعمل في زراعة الأرض والري والحصاد وتربية المواشي وشق الترع وغرس الحقول والحدائق بالفاكهة والأعناب .

ومن الناحية الصناعية كان عدد كبير يعمل في مستخرجات المناجم ومستخرجات الكروم وغيرها مثل عمال النسيج وعمال التبييض .

ومن الناحية الفنية كان عدد كبير يعمل في بناء المعابد وملحقاتها وهندستها وفي النقش والنحت والرسم .

ومن الناحية العلمية ، كان عدد كبير أيضاً يعمل في علوم الدين وعلوم الفلك وفي الطب وشؤون الكتابة والقضاء والهندسة والكيمياء والرياضيات .

أضف إلى ذلك أن جمهوراً عظيماً لا يستهان بعدده من الرجال ، كان يعمل في كل معبد من هذه المعابد وملحقاتها في أعمال تتصل بالحبازة والحلاقة ومنهم الحلواني وصانع النعال والصائغ وحارق البخور وخالي الزيت وحامل المياه ومقدم القرابين .

يضاف الى هؤلاء أيضاً أنواع من الخدم كالحارس والبواب .

أما فيما يختص بمدينة الأموات التابعة لكل رئيس كهنة فادارتها معروف أمرها للجميع .

ولم يكتف رجال الدين برعاية شؤون الدين وإدارة معابدهم بل كانت لهم في كثير من الأحيان صلات وثيقة بكثير من الأعمال الحكومية أو بعض المهام الملكية ، فكثيراً ما كانوا يندبون لادارتها أو للإشراف عليها . ولعلّ من أهم الأمثلة التي تؤيد ذلك ما يلاحظ على ألقاب الكاهن الأكبر « حابو صنب » .

بل وأكثر من ذلك أصبح منصب رئيس الكهنة وراثيًّا ، فكان الخلف يعقب السلف دون أن يقوم نزاع أو خلاف كالذي كان يقوم عادةً بالنسبة لتوارث الملك في ذلك الحين .

وأظهر مثل لدينا على هذا كبير كهنة منف الذي مثّل سلالته على احدى الجدران في أربعة صفوف في كل صفٍّ منها خمسة عشر كاهناً من أفراد أسرته ، وظلوا جميعاً متربعين في منصب الرياسة الدينية في منف ما يقرب من ألف وثلاثمائة عام تقريباً . وهناك قطعة أثرية أخرى بمتحف كوبنهاجن تمثل توارث كهنة عين شمس على هذا النسق .

أما كهنة آمون فقد نشر عنهم « لا فيفر » الكثير كما هو معروف للجميع. زد إلى ذلك أن سلطة الرئيس الديني لا تنتهي بوفاة الملك المعاصر له بل تستمر ولا تعتبر منتهية إلاّ بوفاة هذا الرئيس . وربما ازدادت بما يصيبهم من ثراء على أيدي الملك اللاحق ، وبما يصيبهم من امتيازات جديدة وهدايا جديدة بصرف النظر عما وهبه لهم أسلافه . فيكدسون بذلك الأحجار الثمينة والذهب وتتكاثر الأراضي والمواشي ويزداد عدد اتباع كل معبد .

ولم يكتف الرؤساء الدينيون بكل ما نالوه من هذه الامتيازات بل أطلقوا على أنفسهم لقب أمير « حاتي عا » فتشبهوا بحكام المقاطعات في ألقابهم وفي نفوذهم .

(ثانياً) بيّنّا أن طبقات الكهنة أصبحت مستقلة عن السلطة المركزية ولهذا الاستقلال مظاهر متعددة فمن الناحية السياسية تدرّج الأمر برؤساء المعابد إلى أن أصبحوا في وقت واحد يجمعون بين منصبي « الرئيس الديني لجميع معابد آلهتهم في مصر العليا والسفلى » ومنصب « الوزير » وهو رئيس الدولة بعد الملك مباشرةً أي أنه قد تطوّر نفوذ رجال الدين بالتدريج حتى أمكنهم الجمع بين السلطتين الدينية والزمنية أو الجمع بين السياسة والدين

ويحدّثنا التاريخ أن « بتاح مس » كبير كهنة بتاح بمنف في عصر الملك أمنحتب الثالث جمع بين الوزارة ورئاسة كهنة بتاح بمنف ، كما أن « حابوسنب » كبير كهنة آمون في عصر الملكة « حاتشبسوت » قد جمع أيضاً بين الوزارة ورئاسة كهنة آمون بطيبة .

فأصبح رؤساء المعابد بذلك يشتركون اشتراكاً فعلياً في حكم البلاد مع الملك .

ومن الناحية الادارية كان يقوم بادارة هذه المعابد وأملاكها من ضياع ومصانع وغيرها رجال دينيون يخضعون مباشرةً للرئيس الديني الأعلى للمعبد لا للسلطة المركزية . وكان اختصاص هذا الرئيس يتسع ويضيق تبعاً لمقدار انتشار عبادة الاله القائم بعبادته وخدمته

ومن الناحية الاقتصادية كانت معابدهم وما تمتلك من أرض وحيوان معفاة هي وباقي

الموارد من الضرائب سنويًا ، كما أن ميزانية هذه المعابد كانت منفصلة عن الميزانية العامة للدولة انفصالاً تامًا ، فكان لهذه المعابد بيوت للذهب ، وبيوت للفضة خاصة ، ومخازن غلال خاصة ، ومراكب خاصة لجلب الدخل والخيرات من البلاد التابعة لهذه المعابد ، غير بيوت الذهب والفضة ومخازن ومراكب الحكومة .

ومن الناحية الاجتماعية ، دلتنا النقوش على أن رؤساء المعابد كان لهم المقام الأول والاعتبار الأعظم . كما أن المعابد كانت تعتبر في ذلك الوقت بمثابة معاهد ثقافية تشبه دور العلم أو الجامعات في وقتنا هذا ، وكان الرؤساء الدينيون يعتبرون كعمداء لهذه المعابد .

ومن الناحية القضائية كانت تمثل رجال الدين في مختلف المحاكم .

أما وقد رأينا الآن ما انتهى اليه أمر هؤلاء الرؤساء الدينيين ، الذين يحق لنا أن نسميهم الكهنة الأمراء ، من سلطان مطلق في ادارة معابدهم وعلى الشؤون المتعلقة بالمالية والقضاء .

نخرج بنتيجة واحدة وهي أن نفوذ هؤلاء الكهنة الأمراء طغى على نفوذ الملك وتضاءلت هيبة الملك بجوار هيبتهم — فحق لنا أن نسمي هذه المعابد بدويلات داخل الدولة المصرية ، وان نسمي هؤلاء الرؤساء الدينيين « الكهنة الأمراء » .

وكان طبيعيًا ، وقد شبهنا هذه المعابد بدويلات ، ان يكون لكل منها بوليس خاص لمراقبة جميع الأعمال والعمال ولحفظ الأمن .

وكذلك كان طبيعيًا أن يكون لكل منها جيش خاص يذود عنها ويدفع عنها اعتداءات المغيرين ، فكان وجود هذه الجيوش مما يقوي من هيبة الرؤساء الدينيين ويضعف من هيبة الملك .

زد الى ذلك ان رؤساء المعابد كانوا هم رؤساء الجيوش ، في حين ان القاعدة ان الملك هو الرئيس الأعلى للجيش .

أصبح الكاهن الأعلى لكل معبد ، أو رئيس كل دويلة ، يزاحم الملك سلطته وسلطانه على البلاد .

فليس غريبًا بعد كل ما رأيناه من مختلف المظاهر لازدياد سلطة الكهنة الأمراء ، أن

نحس بانكماش سلطان الملك وتضاؤل سلطته في هذه النواحي المتعددة التي سبق أن تكلمنا عليها .

وأخيراً يجب ان نطرح السؤال الآتي : ما هي أركان النظام الاقطاعي وأهم خواصه وما مدى توافقها وانطباقها مع ما انتهى اليه حال الأمة والدولة المصرية وكيفيتها عندما ورث الملك إلخ — ان — آتون عرش مصر ؟

إن خواص النظام الاقطاعي وأركانه تنحصر في أربعة أمور رئيسية : —

(أولاً) — الامارة : وقد رأينا ان الرئيس الديني انتهى الأمر به الى لقب أمير

(ثانياً) — التوارث : وقد أصبح منصب الرئيس الديني وراثيًا يتوارثه أولاده ثم أحفاده دون نزاع أو خلاف .

(ثالثاً) — التعدد : وقد كان عدد هذه المعابد وممتلكاتها يتزايد تلقائياً في الآله الواحد في جهات مختلفة . فلما جاء إلخ — أن — آتون وجد عددها منتشراً في أجزاء مختلفة من أقاليم القطر المصري .

(رابعاً) — الانفصال عن السلطة المركزية : وقد بيّنا سابقاً أن هذه المعابد كانت منفصلة عن السلطة المركزية من جميع نواحي النشاط السياسي والاداري والمالي والقضائي والحربي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي .

***

من هذه الخواص مجتمعة ومما رأيناه من انطباقها وتوافقها على ما كانت عليه الأمة المصرية ، وما وصلت اليه حال الكهنة حتى عهد الملك إلخ — ان — آتون يمكننا القول أن كلمة « نظام اقطاعي » تنطبق على هذه التركة التي ورثها الملك إلخ — إن — آتون مع فارق في بسيط ، وهو أن هذا النوع الجديد من النظام الاقطاعي كان لأمراء المعابد بدلاً من أمراء المقاطعات المدنيين وذلك النظام الجديد من النظام الاقطاعي في هذا العهد يمكن تسميته بالانجليزية Kindutte de Temple وبالفرنسية Temple Feudal System وبالألمانية Templfurstentum « والعربية اقطاعيات المعابد » لأنه في هذا النظام الجديد حل المعبد وممتلكاته محل المقاطعة ومشتملاتها وحل الأمير الديني محل الأمير المدني .

والملاحظ أن هذه الظاهرة الجديدة ليست قاصرة على عهد الملك إيخ — إن — آتون فحسب ، بل إننا نجد لها نظيراً في كثير من العهود الفرعونية الأخرى .

ولما جاء إيخ — إن — آتون إلى العرش أخيراً وجد الحال كما بينا ، وهو حال من النظام الاقطاعي الخاص ، جعل الملك الشاب لا يستسيغه بل وينتهز الفرص للايقاع بهؤلاء الأمراء الكهنة الذين أصبحوا خطراً على ملكه ، فشاء ان يتحرر من قيود هذا النظام الاقطاعي الذي ورثه عن أسلافه ، فثار ثورته المعروفة في السنة السادسة من حكمه حوالي سنة ١٣٧٧ قبل الميلاد ليتخلص من أولئك الكهنة الأمراء ومن سلطانهم ، بل ومن معبوداتهم وكثيراً ما تلعب السياسة دورها تحت ستار من الدين .

منصب الوزير

في مصر الفرعونية

جرت عادة ملوك مصر الأقدمين على أن يلقوا عبء الإجراءات الحكومية من إدارية وقضائية ومالية وحربية على عاتق أكبر موظف في الدولة وهو الوزير ، وكان يسمى باللغة المصرية القديمة « ثات » .

وكان لمن يشغل منصب الوزير من الأهمية والسلطان قدر كبير ، وذلك لأن الوزير كان هو رجل الدولة الأول الذي يلي الملك مباشرةً في الأهمية والنفوذ والسلطان . ولأن الوزير كان بمثابة حلقة الاتصال بين الملك وبين الإدارات المختلفة ، سواء في العاصمة أم في الأقاليم .

وبسبب هذه الأهمية التي كانت للوزير كان ينتخب من أعرق العائلات المخلصة للعرش المتفانية في ولائها وخدمتها له ، بل كان يعين أحياناً من أولياء العهد ، أو أبناء الملك ، أو أقارب الملك في بعض العصور ، وفي عصور أخرى كانت وظيفة الوزير وراثية . وفي ظروف خاصة جمع بعض الوزراء بين منصب الوزير ومنصب رئاسة كهنة إله الدولة الرسمي.

وأقدم من ذكر من الوزراء وزير الملك مينا (نعرمر) : الموحد الأول لمصر القديمة ومؤسس الدولة القديمة (عصر وحدة وادي النيل الأولى) وقد جرت العادة في العصور الأولى من تاريخ الحضارة المصرية القديمة أن يكون وزير واحد للملك والدولة .

وبابتداء عصر الوحدة الثانية (الدولة الوسطى) نجد على الأرجح ظاهرة جديدة في تاريخ ملوك مصر الأقدمين ، وهو أن اثنين من الوزراء يعاونان الملك في وقت واحد . ولكن نصوص هذا العصر لا ترينا تحديداً للاختصاص ، ولكن من الثابت أن الشؤون

المصرية القديمة للمملكة الفرعونية قد زادت في هذا العصر نتيجة لازدياد الفتوح الأجنبية ، مما يدل على أن الحاجة كانت ماسة لأكثر من وزير .

أما في عصر الوحدة الثالثة (الدولة الحديثة) ، فقد وصلتنا نقوش ونصوص كثيرة تعطينا فكرة من مهام الوزير ، فقد كان لمصر وزيران أحدهما للشمال ، واختصاصه المنطقة التي تمتد من شمال أسيوط حتى البحر المتوسط ، والآخر للجنوب ، ومنطقته تمتد من جنوب أسيوط حتى حدود مصر الجنوبية . وكان مركز الأول عين شمس أو منف أو تانس (بر رمسيس) ، والثاني كان مركزه طيبة .

وأهم المعلومات عن منصب الوزير يمكن استقاؤها من النقوش والنصوص المدونة على جدران مقبرة رخمي رع الذي كان وزيراً للملك تحتمس الثالث ، وأوائل عصر الملك امنحتب الثاني ، فنستنتج منها أن الملك هو الذي له حق تعيين الوزير . وكما أن للملك حق تعيين الوزير فله الحق أيضاً في عزله كما دلت نصوص أخرى على ذلك .

ومن الطريف أن الملك تحتمس الثالث عند تعيينه رخمي رع في منصب الوزارة للجنوب أسدى إليه الإرشاد ونصحه نصائح جليلة . وقد دلتنا النصوص على أن هذه التعليمات التي كان يقولها الملك لوزرائه كانت تقليدية ، إذ وجدناها تقال عند تعيين كل وزير . فقد عثرنا في مقبرة الوزير أوسر ، خال الوزير رخمي رع ، على نصوص تؤيد ذلك ، كما وجدناها قد وجهت الى الوزير حابو وزير الملك تحتمس الرابع ، من ذلك على سبيل المثال قولهم : « كن يقظاً لكل ما يجري في الوزارة . وإذا أتاك مستشكل فيجب عليك أن تبحث بنفسك في شكايته ، عاملاً حسب القانون . وتتتبع الحق ولتعلم أن غضب الإله يحل على من يؤثر المحاباة . . . لتكن معاملتك لمن لا تعرفه مثل معاملتك من تعرفه ، ولمن هو قريب منك مثل من هو بعيد عنك » . وزيادة على تعليمات الملك لوزيره بأن يحكم بالعدل ، وبألا يحابي أحداً كان يرشده إلى ما يجب اتخاذه يومياً . فيبدأ الوزير عمله في كل صباح بأن يقابل الملك ويعرض عليه المسائل الحكومية لكي يبدي فيها رأيه . ومن هذا نرى أن الملك كان هو الرأس المفكرة العليا التي تدير سياسة البلاد .

وفي أثناء مقابلة الوزير للملك يكون رئيس المالية منتظراً عند إحدى بوابات القصر .

فاذا خرج الوزير تداول معه في أمور الدولة . ثم بعد ذلك يدخل رئيس المالية على الملك ويعرض عليه الشؤون المالية وما اعترى خزينة الدولة من نقص أو زيادة (وطبيعي كانت في شكل مواد أولية كالأخشاب والخضر والجلود والأقمشة وما أشبه) . وبعد ذلك يأمر الملك بفتح دواوين المصالح الحكومية مما يدل على أن الملك كان يرصد كل وزير على ما يجب أن يبت فيه من أمور تهمه وتهم الدولة المصرية القديمة .

وفضلاً عن إشراف الملك على وزير المالية ، فقد كان هذا الوزير تحت رقابة ورئاسة الوزير الأول للدولة الذي كان يعتبر عندئذ كرئيس الوزراء الآن . إذ دلتنا النصوص على أنه كان يكتب التقارير للوزير الأول باستمرار ليطلعه على الحالة المالية العامة للدولة .

وقد كان لمنصب الوزير الأول للدولة في هذه العصور القديمة من الأهمية الكبرى والمكانة العظمى ما لمنصب رئيس الوزارة في العصور الحالية . فقد كان الرئيس الأعلى للقضاء . ففي مقبرة رخمي رع نجد رسماً لمجموعة قوانين مطوية في أربعين ملفاً برديًّا محفوظة داخل أغلفة من الجلد وموضوعة أمام الوزير بصفته القاضي الأعظم « ساب سبختي » وهو جالس في دار المحكمة في إحدى الجلسات العلنية . (مع ملاحظة أن المرجع الأخير للمسائل الجنائية كان الملك ، والمرجع الأخير في المسائل المدنية كان الوزير . وحتى في عصرنا الحاضر نجد العفو في المسائل الجنائية من حق جلالة الملك) .

كما كان وزير الحربية ، وبصفته هذه ، يشرف على الجيش والأسطول ، وبمعنى آخر كان الرئيس الأعلى للجيوش البرية والبحرية . وكان لمصر أسطول عظيم سطر في سجل التاريخ انتصارات كبيرة . وكان الوزير أيضاً المشرف على الشؤون الداخلية ، وكان بهذه الصفة رئيساً للبوليس في منطقة اختصاصه ومحافظاً للعاصمة .

ثم كان أخيراً المشرف على الشؤون الزراعية .

نرى من كل ما سبق مبلغ ما كانت عليه مصر القديمة من رقي ومدنية في الحضارة ، وترتيب وتنظيم في الشؤون الإدارية ، ودقة ومهارة في تكييف الأمور والتصرف فيها .

حاكم السودان العام

في تاريخ مصر الفرعونية

من طريف ما يحدثنا به التاريخ إنه عند تولي الملك تحتمس الأول عرش الوادي حوالي سنة ١٥٣٧ قبل الميلاد في ظلال الوحدة أرادت الحكومة المصرية ارسال نبأ تولية الملك الجديد على عرش الوادي فكتبت ما معناه : (أمر ملكي إلى حاكم السودان العام المدعو توري لكي يعلم ان جلالة الملك تحتمس ملك الشمال والجنوب وينشر ألقابه ويعلن انحلف اليمين أصبح باسم الملك تحتمس)

وكان يلقب حاكم السودان العام بلقب الابن الملكي للسودان وليست كلمة ابن هنا معناها ان يكون الحاكم حقًا من أبناء البيت المالك ولكن هذا اللقب في الواقع معناه ان حاكم السودان مقرب من الملك وله شرف الاتصال به ويهدف هذا اللقب الى اظهار عدم تفريق ملك الوادي بين مصر والسودان من جهة الحكم والادارة وحتى يشعر أهل السودان ان فرعون مصر قد أرسل اليهم من هو في حكم ابنه ليدير دفة شؤون البلاد الشقيقة

وكان لحاكم السودان العام توري السابق الذكر شرف الخدمة في عهد ملوك عديدين ، فقد تقلد منصبه في أواخر عهد الملك احمس الاول مؤسس عصر وحدة وادي النيل الثالثة وبقي حتى عهد الملك تحتمس الثاني — مما يدل على ان شاغل مثل هذا المنصب يبقى فيه طيلة عمره ما دام يؤدي عمله على الوجه الأكمل ومخلصاً لملك الوادي .

ومن الطريف أيضاً انه بابتداء عصر الملك امنحتب الثالث حوالي سنة ١٤٠٥ قبل الميلاد نجد حاكم السودان العام يحمل لقباً آخر وكان يحمله الوزير أيضاً معناه (حامل المروحة على

يعين الملك) مما يدل على ان حاكم السودان أصبح أكثر تقرباً في بلاط ملوك عصر الوحدة الثالثة (الدولة الحديثة)

وكان من اختصاص حاكم السودان تصريف الشؤون الادارية والاشراف على المسائل القضائية والمالية .

أما شؤون السودان العسكرية والحربية فقد كانت من اختصاص رئيس جنود الرماة بالقوس في السودان .

وقد كان الحد الفاصل بين منطقة اختصاص حاكم السودان ومنطقة اختصاص وزير الجنوب عند جزيرة بجا القريبة من جزيرة فيلا بأسوان .

وكان يساعد الحاكم العام للسودان موظفان آخران أحدهما لقبه (ادنوان واوات) واختصاصه من أسوان الى الهلال الثاني ، والثاني لقبه (ادنوان كوش) واختصاصه الاقليم المحصور بين الهلالين الثاني والرابع .

كذلك كان يساعد الحاكم العام للسودان موظفون آخرون كالكتبة ومحاسب الذهب لأهمية الذهب في السودان وكثرة وجوده بكميات وفيرة هناك في تلك العصور .

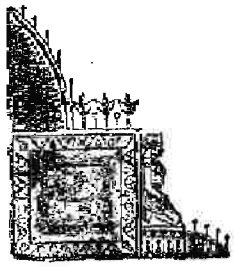

هيرودوت في مصر

زار هيرودوت مصر حوالي عام ٤٦٠ قبل الميلاد ضمن البلاد الأخرى التي زارها ، ولم يمرّ هيرودوت بمصر وبغيرها من الأقطار مروراً عابراً بل كان خلال رحلاته شديد الملاحظة يسأل ويدقق النظر في كل معبد أو بناء مشهور يراه وفي عادات أهل البلاد التي يمرُّ بها .

لذلك ألّف هيرودوت تاريخه عن مصر من وحي مشاهداته وما سمعه خلال رحلته فدوّن ذلك مؤيداً برأيه الخاص أحياناً . وفي هذا يقول « يجب عليّ أن أقصّ الرواية كما قيلت لي ولست مجبراً على تصديقها » لا سيما وقد اعترضته صعوبة عدم معرفته اللغة المصرية الفرعونية فكان يعتمد على ما يرويه له الأدلاّء وخدم المعابد وصغار الكهنة الذين كانوا بدورهم لا يعرفون اللغة اليونانية معرفة تمكنهم من الإدلاء بما يعرفونه من المعلومات ، ورغم كل ذلك فقد كتب هيرودوت موسوعة تاريخية خصص منها لمصر الجزء الثاني وفصول من الجزء الثالث ، وأننا لا يسعنا إلاّ القول بأن علماء الآثار والتاريخ والاجتماع يعتبرون نصوص كتاب هيرودوت العمدة في تاريخ مصر . إذ أن هذا الكتاب اليوناني أول كتاب مفصل متعدد النواحي وصل إلينا عن مصر القديمة ، فضلاً عن النقوش المصرية القديمة التي لم يوفق العلماء إلى قراءتها والكشف عنها إلاّ في القرن الماضي .

* * *

وقد صدق هيرودوت في بعض معلوماته التاريخية عن مصر نذكر منها على سبيل المثال وصف اللابيرنت (فقرة ١٤٨) وطريقة بناء الاهرام (فقرة ١٢٤ ، ١٣٤) واكتشاف علم المساحة في مصر وانتقاله منها إلى اليونان (فقرة ١٠٩) وأن المصري أول من عرف السنة الشمسية (فقرة ٤) وطريقة التحنيط (فقرة ٨٦) وذكره الملك مينا (فقرة ٤ و٩٩) .

كما أنّ هناك معلومات جغرافية صحيحة في كتاب هيرودوت جديرة بالتنويه نذكر على سبيل المثال ما أورده عن حدود مصر الجغرافيـة شرقاً وغرباً (فقرة ٨) وبحيرة موريس (فقرة ١٤٩) وأسماء بعض البلاد المصرية وموقعها مثل هليوبوليس وطيبة ومنف (فقرات ٣ ، ٥٩ ، و ١١٩ ، و ١٥٣) وفروع نهر النيل (فقرة ١٧ ، و ١٥٥) .

وطبيعي أن نجد الى جانب معلومات هيرودوت الصحيحة بعض الاخطاء التاريخيـة وبعض المعلومات الجغرافية الناقصة وقد أشار الى ذلك حضرة الأستاذ وهيب كامل في كتابه « هيرودوت في مصر » .